الحوار في الحديث النبوي لتقرير عقيدة التوحيد

إعداد

الدكتور/ حمدي بن حميد حمود القريقري

(١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م)

بسم الله الرحمن الرحيم

ملخص البحث:
يذكر هذا البحث أهمية التوحيد بأنواعه الثلاثة؛ توحيد ا لربوبية، وتوحيد الألوهية، وتوحيد الأسماء والصفات، ويبين أن النبي ﷺ نوع الأساليب لتقرير عقيدة التوحيد، وغرسها في نفوس أصحابه، وتضمن الحديث النبوي آداب الحوار التي ينبغي للمتحاور أن يلتزم بها، وبين البحث أن الحوار من الأساليب المهمة لتقرير عقيدة التوحيد، وتكمن أهمية الحوار في غرس مفاهيم جديدة، وتعزيز مفاهيم أخرى عند المتحاور معه، وتناول البحث الحوار في السنة النبوية لتقرير توحيد الربوبية، ثم لتقرير توحيد العبادة «الألوهية»، ثم لتقرير توحيد الأسماء والصفات.

الكلمات الدلالية:
الحوار-الحديث النبوي-عقيدة التوحيد

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه. ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فهو المهتد . ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً ، وأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ^.

چ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڤ ڤ ڤ چ [1].

وبعد..

فإن عقيدة التوحيد هي الأساس الذي يبنى عليه سائر العبادات والتشريعات التي جاء بها الإسلام ، ولذلك اهتم النبي ^ بها أيما اهتمام ؛ فالقرآن الكريم لاسيما المكي منه كان أكثره يقرر هذه العقيدة . والفترة التي قضاها النبي صلى الله عليه وسلم في الدعوة إلى هذه الرسالة العالمية «رسالة الإسلام» جُلّها كان عن الدعوة إلى التوحيد وتأسيسه في نفوس الصحابة رضي الله عنهم.

ومن الأساليب الكثيرة التي استخدمها النبي ^ لتقرير هذه العقيدة في نفوس أصحابه أسلوب الحوار.

لذلك فإنه يتأكد علينا دراسة هذه الأحاديث المتضمنة للحوار المقرر للعقيدة الصحيحة؛ فجاءت هذه الدراسة : التي أسأل الله أن تكون نافعة لي وللمسلمين.

---

(١) سورة آل عمران، آية: ١٠٢.

التمهيد

قبل أن نبدأ في دراسة هذا الموضوع المهم وهو الحوار في الحديث النبوي لتقرير عقيدة التوحيد ، لابد من التعريف بمفردات العنوان.

أولاً: الحوار.

معنى الحوار في اللغة: مأخوذ من حَوَرَ ، والحور هو : الرجوع عن الشيء وإلى الشيء [١]. ومنه قوله تعالى چ ں ڻ ڻ ۀ چ[٢]. أي لن يرجع[٣]. ومنه : «من دعا رجلاً بالكفر وليس كذلك حار عليه» [٤]. أي : رجع إليه ما نسب إليه. وكل شيء تغير من حال إلى حال فقد حار يحور حوراً[٥].

قال لبيد:

وما المرء إلا كالشهاب وضوئه   يحور رماداً بعد إذ هو ساطع[٦]

يحور رماداً أي يتحول رماداً . وأحار عليه جوابه : رده ، ومنه المحاورة وهي : المجاوبة. والتحاور : التجاوب ومراجعة المنطق والكلام في المخاطبة [٧].

ومن هنا جاء اشتقاق الحوار الذي نحن بصدد الحديث عنه ؛ فإن كل واحد من المتحاورين يجاوب الآخر ويراجعه الكلام في المخاطبة . وهذا المعنى هو الذي دل عليه القرآن الكريم. قال تعالى: چ ي □ □ □ □ □ □ □ □ □ □چ[٨].وقول الله تعالى: چ ڤ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ[٩].وقوله تعالى : چ ٻ ٻ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ چ[١٠].

معنى الحوار الاصطلاحي:

هناك عدد من التعريفات لبيان المعنى الاصطلاحي للحوار وهي متقاربة إلى حد ما . ونذكر منها:

«نوع من الحديث بين شخصين أو فريقين ، يتم فيه تداول الكلام بينهما بطريقة متكافئة ؛ فلا يستأثر أحدهما دون الآخر به ، ويغلب عليه الهدوء ، والبعد عن الخصومة والتعصب»[١١].

وقال بعضهم : «حديث بين طرفين أو أكثر حول قضية معينة . الهدف منها الوصول إلى الحقيقة ، بعيداً عن الخصومة والتعصب ؛ بل طريقة علمية إقناعية ، لا يشترط فيه على نتائج

---

(١) ابن منظور . لسان العرب ، دار إحياء التراث، ط٢ ، بيروت ، مادة : حور (٣٨٣/٣).
(٢) سورة الانشقاق . آية :١٤.
(٣) انظر: تفسير ابن كثير (٢٨٢/٨).
(٤) جزء من حديث رواه مسلم ، ح ٢٢٦ (٥٧/١).
(٥) لسان العرب ، مادة ح و ر (٣٨٤/٣) .
(٦) البيت للشاعر لبيد من قصيدة مطلعها:
بلينا وما تبلى النجوم الطوالع   وتبقى الجبال بعدنا والمصانع.
انظر : الدينوري . عبد الله بن مسلم ، الشعر والشعراء (٥٣/١).
(٧) لسان العرب: ٣٨٤/٣.
(٨) سورة الكهف : آية (٣٤).
(٩) سورة الكهف : آية (٣٧).
(١٠) سورة المجادلة : آية (١).
(١١) الندوة العالمية للشباب . في أصول الحوار ، ط٥ ص١١.

فورية» [١].

واختار بعض الباحثين[٢]في التربية على أنه : «محادثة بين شخصين أو فريقين حول موضوع محدد ؛ لكل منهما وجهة نظر خاصة به ، هدفها الوصول إلى حقيقة أو إلى أكبر قدر ممكن من تطابق وجهات النظر ؛ بعيداً عن الخصومة أو التعصب بطريق يعتمد على العلم والعقل ، مع استعداد كلا الطرفين لقبول الحقيقة ولو ظهرت على يد الطرف الآخر»[٣].

وهذه القيود الواردة في التعريف الاصطلاحي لتمييز الحوار عن المجادلة وحتى يتضمن التعريف بعض سمات الحوار وأهدافه وآدابه.

أهداف الحوار:

للحوار أهداف يجب أن يسعى المتحاوران لتحقيقها وإذا حاد الحوار عن هذه الأهداف فإنه يصبح – كما يقال – حواراً عقيماً – ويمكن أن نجمل أهداف الحوار فيما يلي:

١- العدول إلى الحق :

كثيراً ما يكون هدف الحوار هو محاولة أحد المتحاورين أو هدفهما جميعاً بالحوار إقناع الآخر بالوصول إلى الحق ، كتلك الحوارات التي هدفها الدعوة إلى الله مثلاً. أو إقناع المتحاور الآخر للعودة لبعض الحقوق الشرعية التي فرط فيها من يتحاور معه.

٢- العدول عن الباطل:

قد يكون شخصاً ما أو جماعة على شيء من الباطل ، فيقام الحوار من أجل عدوله عن باطله كما فعل ابن عباس رضي الله عنهما عندما حاور الخوارج وعاد أكثرهم إلى جماعة المسلمين[٤].

وقد ورد في القرآن الكريم عدد من الحوارات التي يحاول فيها المحاور ممن يحاوره أن يعدل عن باطله ، قال تعالى : چڤ ڤ ڤ ڤ ڤ ڤ ڤ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ [٥].

٣- تحقيق أغراض خاصة:

ومن أهداف الحوار تحقيق أغراض خاصة يسعى المتحاور لإقناع غيره بها والسعي في تحقيقها ، وهذه الحوارات قد تكون مشروعة وقد تكون غير ذلك ، ويرجع هذا إلى طبيعة هذه الأغراض ؛ فإذا كانت مشروعة فالحوار كذلك وإلا فهي من الحوارات الباطلة.

٤- كسب الوقت في تحقيق أغراض أخرى:

هناك من يعقد الحوار لا لقناعته بما يوصل إليه الحوار ، وأن الحوار يقود إلى مفاهمات ونقاط التقاء جديدة يمكن الاتفاق عليها ؛ بل يعقد الحوار من أجل كسب شيئاً من الوقت ليتحقق له هدفاً خارج دائرة الحوار.

آداب الحوار:

للحوار آداب ينبغي للمحاور أن يتمسك بها ، وإلا يخرج الحوار عن كونه حواراً ، ولا يحقق الأهداف التي من أجلها أقيم الحوار.

---

(١) خالد المغامسي ، الحوار آدابه وتطبيقاته في التربية الإسلامية ، مركز الملك عبد العزيز الوطني . الرياض ، ط١، ١٤٢٥، ص٢٢.

(٢) هلال حسين فلمبان في كتابه : دور الحوارات التربوية في وقاية الشباب من الإرهاب الفكري من مطبوعات مركز الملك عبد العزيز للحوار الوطني ص٤٤.

(٣) بسام عجمك : الحوار الإسلامي المسيحي ، دار قتيبة . ١٤١٨هـ . دمشق ص٢٠.

(٤) انظر : السنن الكبرى للبيهقي. ح١٧١٨٦ (١٧٩/٨).

(٥) سورة الكهف: آية (٣٧).

وإليك عدداً من آداب الحوار المهمة[١]:

١) الإخلاص وصدق النية:

لا ريب أن صدق النية العامل الأهم في نجاح العمل ، فالمحاور إذا صحح نيته وحرر مقصده من الحوار وكان هدفي الأسمى الوصول إلى الحق والعدل ، تحقق له المقصود بإذن الله **«إنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرئ ما نوى»**[٢]، فإذا استحضر المحاور ذلك فإن ذلك سيكون دافعاً للالتزام بالآداب الأخرى للحوار.

كما جاء في الحديث : «**إن قلوب العباد بين إصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف شاء**»[٣].

وهذا له بالغ الأثر على تقبل نتائج الحوار أياً كانت هذه النتائج ؛ لأن المحاور متجرد من رغباته الشخصية وهو يعلم أن كل ما هو عليه أن يتمسك بآداب الحوار والنتائج مردها إلى الله تعالى.

٢) اختيار المكان والزمان المناسبين:

الاختيار الموفق للمكان والزمان يضفي جواً مناسباً لحوار ناجح ، فالمحاور الناجح يسعى في معرفة الوقت المناسب لمن يريد التحاور معه ، ويجعل المكان عاملاً نفسياً مؤثراً في نفسية من يتحاور معه. هذا إذا كان للمحاور يداً في اختيار الزمان والمكان. أما إذا كان لا يملك ذلك فإنه يراعي هذا الجانب أثناء الحوار.

٣) تعزيز الجوانب الإيجابية عند المتحاور.

عندما يبدأ المحاور بذكر شيء من إيجابيات المتحاور معه أو فضائله التي يتميز بها وربما اختص بها دون غيره فإن ذلك أدعى للتفاعل مع المحاور والاستجابة وإزالة بعض العوائق التي ربما تمنع من سرعة الاستجابة والوصول للهدف المنشود من الحوار، وقد جاء في السنة ما يمكن أن يستدل به على هذا فقد جاء في الحديث عن النبي ^في محاجَّة موسى عليه السلام لآدم حيث قال: «أنت آدم الذي خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه ، وأسجد لك ملائكته ، وأسكنك في جنته ثم أهبطت الناس بخطيئتك إلى الأرض ؟ فقال آدم : أنت موسى الذي اصطفاك الله برسالته وبكلامه ، التوراة قبل أن أخلق ؟ قال موسى : بأربعين عاماً . قال آدم : فهل وجدت فيها ﭼﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﭼ[٤]. قال: نعم . قال : أفتلومني على أن عملت عملاً كتبه الله علي قبل أن يخلقني بأربعين سنة ؟ ! قال^: **«فحج آدم موسى»**[٥]. فانظر كيف بدأ موسى عليه السلام بذكر فضائل آدم عليه السلام وكذلك آدم عليه السلام بدأ حديثه بذكر فضائل موسى عليه السلام ، فالمحاور إذا بدأ بتعزيز الجوانب الإيجابية فإن ذلك بمثابة التوطئة لقبول الحوار وتهدئة نفسية المتحاور معه.

٤) البدء بالقواسم المشتركة والعناصر المتفق عليها.

ينبغي أن يبدأ المحاور بالعناصر التي لا نزاع فيها ثم ينطلق إلى محل الخلاف ؛ فيجعل القواسم المشتركة قاعدة صلبة يبني عليها القناعات الجديدة التي يريد أن يتوصل إليها في الحوار . فإن كان المتحاوران مسلمين فتكون مبادئ الإسلام كافية للانطلاق منها في التحاور مع أهمية المسلمات العقلية.

---

(١) للاستزادة انظر : يحي زمزمي : الحوار آدابه. ضوابطه . ص١١٣ وما بعدها . ومحمد شمس خوجه ، الحوار آدابه ومنطلقاته ص٥٣.

(٢) رواه البخاري ، ح١ (٣/١) ، ومسلم ، ح٥٠٣٦ (٤٨/٦).

(٣) رواه مسلم ، ح ٦٩٢١ (٥٦/٨).

(٤) سورة طه ، آية (١٢١).

(٥) رواه البخاري ، ح٣٤٠٩ (١٩٢/٤) ، ومسلم ح٦٩١٢ (٤٩/٨).

وأما إن كان المتحاور معه غير ذلك فلابد أن يكون هناك بعض نقاط الاتفاق كالمسلمات العقلية ومبادئ الأخلاق التي يتفق عليها جمهور العقلاء.

٥) احترام الطرف الآخر وحسن الاستماع إليه.

من الضروري أن يعطي المحاور من يتحاور معه الفرصة الكافية للحديث وينصت له بكل اهتمام ؛ فإن ذلك عامل مهم في تقبله للأمور التي يريد المتحاور إقناعه بها . وكلما كان المحاور محترماً لمن يحاوره كان ذلك مساهماً في إنجاح الحوار ؛ بل ويعود عليه في المقابل بالاحترام ؛ لأن الحوار إذا ساده الغضب والألفاظ النابية والتهكم والسخرية ؛ فإن هذا الحوار غالباً لا يحقق الأهداف التي من أجلها أقيم.

وقد ضرب النبي ^ لنا أروع الأمثلة في ذلك ، فعندما حاوره عتبة بن ربيعة لم يقاطعه ^ بل تركه يواصل حديثه فلما انتهى قال له ^: **«بسم الله الرحمن الرحيم** چٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پچ. حتى بلغ: چٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ چ[1] » [2].

٦) عرض الأدلة القوية والبراهين القاطعة بكل وضوح.

المحاور الناجح هو الذي يعرض الأدلة التي يستند عليها بكل وضوح ويبدأ بالبراهين القوية حتى لا يطيل الحوار في غير فائدة. فإن الأدلة الضعيفة قد تشتت ذهن المتحاور معه وربما توهمه أنه على حق . وإنما يحسن إيرادها في باب المناظرة والمناقشة المحررة وذلك من باب اجتماع الجيوش بعد إيراد الأدلة القوية ، والمتأمل في الحديث النبوي يجد ما يفيد ذلك . لمَّا سئل النبي ^ عن مكان النار إذا كانت الجنة عرضها السموات والأرض؛ أجابه الرسول ^ إجابة مفحمة قاطعة : **«أرأيت هذا الليل الذي قد كان ألبس عليك كل شيء أين جعل ؟** قال: الله أعلم . قال: **فإن الله يفعل ما يشاء»**[3].

وينبغي له أن ينوع الأدلة ويراعي في ذلك حال المخاطب فتارة يكثر من الأدلة النقلية وأخرى يركز على الأدلة العقلية فمتى كان المخاطب مسلماً للأدلة الشرعية فينبغي للمحاور أن يعتمد عليها كما فعل ابن عباس في حواره الشهير مع الخوارج ؛ فإنه اعتمد على الأدلة الشرعية واستمال عدداً كبيراً منهم[4].

أما إذا كان الحوار مع المشككين في الأدلة الشرعية أو ممن يستخدموا مناهج منحرفة تضعف دلالة الأدلة بالباطل ؛ فلا ريب أن الأدلة العقلية ينبغي للمحاور أن لا يتجاهلها كما فعل إبراهيم عليه السلام في حواره مع قومه . كما جاء في كتاب الله عز وجل: چ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ چ[5].

٧) الالتزام بمحاور الحوار وعدم الخروج عنها.

الحوار المفيد هو ذلك الحوار الذي يلتزم أطرافه بمحاور الحوار المحددة وعدم الإطالة في التعريفات التي كثيراً ما تفقد الحوار جدِّيته وتصرفه عن الوصول للهدف الذي من أجله أقيم.

والمحاور الناجح هو الذي يعيد الطرف الآخر متى ما حاد عن محاور الحوار الرئيسة.

٨) تفنيد شبهة الخصم وبيان ضعفها:

نجاح المحاور في حواره وبيان الحق الذي يحمله لا يكون برفع الصوت وإيراد كثرة

---

(١) سورة فصلت : الآيات (١-٢١).

(٢) رواه أبو يعلى في مسنده (٣٤٩/٣) ، والحاكم في المستدرك (٢٧٨/٢).

(٣) رواه ابن حبان في صحيحه ، وصححه الألباني في تعليقه عليه ، ح١٠٣ (٣٤٢).

(٤) تقدم ص (٧).

(٥) سورة الأنبياء ، آية (٦٧،٦٦).

المؤكدات كالقسم وغيره ؛ بل يكون ببيان الشبهة التي أوردها المحاور الآخر وتوضح الأخطاء التي تضمنتها الشبهة بالدليل الصحيح المقنع كما فعل ابن عباس في بيان شبهة الخوارج والتركيز على مواطن ضعفها مستدلاً بالقرآن والسنة والأدلة العقلية الأخرى ؛ بعيداً عن إصدار الحكم بضعف الشبهة جزافٍ من غير دليل . فهذا يزيد من نجاح المحاور ويساعده على تحقيق أهداف الحوار ؛ بل ويغير قناعات أخرى قد تكون راسخة في ذهن الخصم.

٩) عدم الاستمرار في الحوار متى ما تبين له عدم جدواه:

إذا تبين للمحاور صاحب الأهداف النبيلة والغايات الهادفة أن الحوار وصل إلى طريق مسدود لا يمكن تجاوزه وأن الاستمرار فيه لا يأتي بجديد ، عليه أن يكتفي بتبيين الحق ويكف عن مواصلته إذ أن الحوار ليس مقصوداً لذاته وإنما لأهداف إذا تبين استحالة الوصول إليها فلا جدوى من الحوار عندئذ.

١٠) التسليم للحق والرجوع إليه متى ما ظهر له ذلك:

المحاور الصادق الذي يهدف للوصول إلى الحق متى ما تبين له أنه مخطئ فإنه يعود إلى الحق ولا يتردد في ذلك ، وقد نزل ^ في غزوة بدر في مكان يرى أنه مناسب ، فلما جاءه الرأي الآخر ورأى فيه مصلحة بادر إلى الأخذ به[١].

وكلما كانت نفس الإنسان كبيرة كلما سهل عليها الرجوع إلى الحق والتنازل عن الاجتهاد الذي تبين خطأه.

(١) انظر : سيرة ابن هشام (١٦٧/٣).

ثانياً: الحديث النبوي

تعريف الحديث لغة:

الحديث لغةً: نقيض القديم ، حدث الشيء يحدث حدوثاً وحداثة وأحدثه فهو محدث وحديث . والحديث الجديد من الأشياء والحديث الخبر يأتي على القليل والكثير والجمع أحاديث كقطيع وأقاطيع وهو شاذ على غير قياس(١).

تعريف الحديث النبوي اصطلاحاً : هو ما أضيف إلى النبي ^ من قول أو فعل أو تقرير ونحوها من أوصاف خَلْقية أو خُلُقية أو هَّمٍ(٢).

ثالثاً : التوحيد

التعريف اللغوي للتوحيد : الفعل الثلاثي لكلمة التوحيد «وحد» (٣)، وهي تفيد الانفراد والاختصاص . والتوحيد في اللغة جعل الشيء واحداً.

أما التوحيد في حق الله تعالى فهو من خصائصه تعالى ، فيمكن أن يقال : هو إقرار الله تعالى بما له من خصائص الربوبية والألوهية والأسماء والصفات . ويتحقق ذلك بتحقق كلاً من أنواع التوحيد الثلاثة الربوبية والألوهية والأسماء والصفات.

وسيأتي تعريفها في بداية المباحث بإذن الله.

---

(١) لسان العرب مادة ح د ث (١٣١/٢).

(٢) انظر : المفصل في علم الحديث . د. علي بن نافع الشحوذ . ٢٤٢/١. ومجموع الفتاوى لابن تيمية (٧/١٨).

(٣) انظر القاموس المحيط ،للفيروز بادي،مؤسسة الرسالة،مادة: و ح د (ص ٤١٤)

المبحث الأول
الحوار في السنة لتقرير توحيد الربوبية

توحيد الربوبية هو : إفراد الله تعالى بأفعاله ، كالخلق والملك والرزق والتدبير والإحياء والإماتة؛ فلا خالق ولا رازق ولا مدبر لهذا الكون إلا هو سبحانه وتعالى.

دل على ذلك الوحي قال تعالى : (ڎ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ں ں ڻ ڻ ۀ ۀ ہ ہ ہ ہ ھ ھ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ﮭ ﮭ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۋ)[1]

والآيات الكريمة من كتاب الله تعالى المقررة لتوحيد الربوبية المبينة لكمال وتمام ربوبية الله تعالى على خلقه كثيرة جداً، فتارة تتحدث عن خلق السموات والأرض والإنسان والدواب وكل شيء (ک ک ک گ گ گ گ گ ڳ ڳ)[2] . وتارة أخرى تتحدث الآيات عن تكفل الله برزق العباد ورزق كل دابة على هذه البسيطة، قال تعالى : (ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ)[3] بل وقيامه على كل نفس جل في علاه. قال تعالى : (ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ې ې ى ى ئا ئا ئە ئە ئو ئو ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ ئې ئې ئې ئى ئى ئى ی ی □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □)[4] .

وهذا النوع من التوحيد لم يأخذ الاهتمام الذي أخذه توحيد العبادة وليس ذلك لأنه ليس مهماً. كيف يكون ذلك وهو أساس توحيد الإلوهية ودليله، لكن ذلك والله أعلم. لأن انحراف المشركين في توحيد الألوهية كان أعظم. وأما توحيد الربوبية فكان المشركون يقرون به في الجملة. قال تعالى : (ۆ ۆ ۇ ۇ ۈ ۈ ۇٴ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې)[5].

والإقرار بالربوبية لله تعالى فطرة في النفوس البشرية، قال تعالى : (ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ)[6] . قال ^ : «**إني خلقت عبادي حنفاء فاجتالتهم الشياطين**»[7].

وقال ^ : «**كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه**»[8].
وإن كان المقصود بالفطرة هنا الإسلام[9]. إلا أن ذلك يقتضي الاعتراف بالربوبية لله تعالى.

والإقرار بأن لهذا الكون خالقاً لم ينكره إلا نزرُ يسير من البشر، كما حكى القرآن مقالة فرعون (ڃ ڃ چ چ)[10]. وهو إنكار مكابرة قال تعالى : (ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ)[11] .
وقال موسى عليه السلام لفرعون كما جاء ذلك في القرآن الكريم (ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ې ې ى ى ئا ئا ئە)[12] .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : «فرعون ما كان يخاف أحداً فينافقه فلم يثبت الخالق وإن كان في الباطن مقراً به وكان يعرف أنه ليس هو إلا مخلوق؛ لكن حب العلو في الأرض والظلم دعاه إلى الجحود والإنكار، كما قال تعالى: (□ □ □ □ □ □ □ □)[13] »[14] .

---

(١) سورة آل عمران، آية : (٢٦، ٢٧).
(٢) سورة الزمر، آية : (٦٢).
(٣) سورة الأنعام، آية : (٦).
(٤) سورة الرعد، آية : (٣٣)
(٥) سورة لقمان، آية : (٢٥).
(٦) سورة الأعراف، آية : (١٧٢).
(٧) رواه مسلم، ح (٧٣٨٦) ١٥٨/٨.
(٨) رواه البخاري، ح (١٣٥٨) ١١٨/٢، ومسلم ح (٦٩٢٦) ٥٣/٨.
(٩) انظر، شرح النووي، ٧٥/٩.
(١٠) سورة النازعات، آية (٢٤).
(١١) سورة الإسراء، آية: (١٠٢).
(١٢) سورة النمل، آية : (١٣).
(١٣) سورة النمل، آية : (١٤).
(١٤) مجموع الفتاوى (١٩٧/١٣).

وأما لسنة النبوية فكانت تؤكِّد على هذا الأصل العظيم من أصول العقيدة وهو توحيد الربوبية، فالرسول المصطفى ^ كان يقرر هذا التوحيد بطرق عديدة، منها عند دعائه ^ فمع أن الدعاء بما فيه من الالتجاء والخشية والرهبة والتعلق بالله مما يحقق توحيد الألوهية؛ إلا أنه كثيراً ما ينطلق من توحيد الربوبية لتحقيق ذلك، كدعائه ^ عند دخول القرية، فإن النبي ^ لم ير قرية يريد دخولها إلا قال حين يراها : «**اللهم رب السموات السبع وما أظللن، ورب الأرضين السبع وما أقللن، ورب الشياطين وما أضللن، ورب الرياح وما ذرين، فإنا نسألك خير هذه القرية وخير أهلها، ونعوذ بك من شرِّها وشرِّ أهلها، وشر ما فيها**»(١).

فقوله ^ : «**رب السموات السبع، رب الأرضين السبع، رب الشياطين، رب الرياح،** فإن هذا كله من خصائص الربوبية؛ فدعاء النبي ^، واستعاذته تقريراً لتوحيد الربوبية في نفس المكلف، إذ هو سبحانه و تعالى رب هذه الأشياء التي ذكرت في الحديث من السموات والأرض والشياطين والرياح وهو تعالى المتصرف، فيها الذي أعطاها حقها من الخلقة المناسبة لها. مع أن الاستعاذة من توحيد الإلوهية».

وكذلك التأكيد على هذا الأصل عند تقوية إيمان وتوكله على الله، قال النبي ^ لابن عباس رضي الله عنه : «**أحفظ الله يحفظك**»(٢).

وقد كان للحوار في السنة النبوية دور كبير في تقرير توحيد الربوبية وإليك عدداً من الأحاديث التي تبين ذلك.

١- عن طريق الإقرار بخالق السماء والأرض والجبال :

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : «نهينا أن نسأل رسول الله ^، فكان يعجبنا أن يجيء الرجل من أهل البادية العاقل؛ فيسأله ونحن نسمع، فجاء رجل من أهل البادية فقال : يا محمد أتانا رسولك فزعم لنا أنك تزعم أن الله أرسلك، قال: **صدق**. قال: فمن خلق السماء؟ قال: **الله** . قال: فمن خلق الأرض قال: **الله**. قال: فمن نصب هذه الجبال وجعل فيها ما جعل؟ قال: **الله**. قال: فبالذي خلق السماء وخلق الأرض ونصب هذه الجبال آلله أرسلك؟ قال: **نعم**. قال: وزعم رسولك أن علينا خمس صلوات في يومنا وليلتنا. قال:**صدق** ... الحديث» (٣).

والمتأمل في هذا الحديث يجد في هذا الحوار السهولة في الأسلوب والترتيب المنطقي فبدأ بالحديث عن تقرير توحيد الربوبية وبأعظم خصائص الربوبية وأكثرها استقراراً في النفوس وهو الخلق الذي تضافرت الأدلة المختلفة عليه والأساس الذي قهرت النفوس على الاعتراف به وعدم إنكاره. وبدأ بأعظمها في عالم الشهادة وهي السماء. وإلا فإن العرش والكرسي أعظم خلقًا. لكن العالم المشاهد أعظمه خلقاً السماء (ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ) (٤).

فمن يدعي خلق السموات؛ أو يكابر في إنكار خالقها الله سبحانه وتعالى، فلا ريب أن «هذا من حسن سؤال هذا الرجل وملاحة سياقته وتربيته فإنه سأل أولاً عن صانع المخلوقات من هو. ثم أقسم عليه به أن يصدقه في كونه رسولاً للصانع، ثم لمَّا وقف على رسالته وعلمها أقسم عليه بحق مرسله. وهذا ترتيب يفتقر إلى عقل رصين»(٥).

كذلك فإن الحوار في هذا الحديث تضمن تكرار الأسئلة المتتالية التي تقرر توحيد الربوبية وأن الله هو الخالق، من خلق السماء ؟ من خلق الأرض ؟ من نصب الجبال؟ والنبي ^

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك (٤٤٦/١) نسخة جامع السنة ط١. وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه. رواه النسائي في السنن الكبرى (٣٠١/٩) نسخة جامع السنة. وابن حبان في صحيحه (٤٣٥/٦) مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢. وصححها الألباني في التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان، (١١٨٤/٤).

(٢) رواه الترمذي، ح (٢٥١٦) (٦٦٧/٤)، وأحمد في المسند ح (٢٦٦٩) ٢٩٣/١. وصححه الألباني، صحيح الجامع ح (١٣٩١٧) ١٣٩٢/١.

(٣) رواه مسلم في صحيحه (٣٢/١) ح (١١١).

(٤) سورة غافر، آية : ٥٧.

(٥) النووي، المناهج، دار إحياء التراث، بيروت، ط٢، (٧٤/١).

يقول في كل ذلك : **الله**. فهذا تأكيد لما استقر في النفوس من كمال ربوبيته وأنه هو الخالق للخلق كله. ولكن هذه أعظم المخلوقات المشاهدة ثم بعد ذلك بنى عليها الأسئلة العظيمة المتعلقة بالألوهية والرسالة والتي فيها النزاع مع المشركين وغيرهم من أهل الكتاب.

ويلاحظ المتأمل في هذا الحوار الذي صدَّره بهذه الأسئلة العظيمة، أن هذه القضايا وإن كانت ثابتة في النفوس، إلا أن إحياءها والتذكير بها بهذا الأسلوب الحواري المتضمن لهذه الاستفسارات المقررة يحيى ويوقظ هذه القضايا في القلوب ويبعثها من جديد، ويثير الأذهان لإعادة التأمل في هذه القضايا المتفق عليها. فعندئذ حريٌ أن لا يتخلف لازمها وهو توحيد العبادة، فلابد من إجابة مؤكدة توازي تلك الإجابات المقررة لتوحيد الربوبية فيكون خالق السماء الله، خالق الأرض الله، خالق الجبال الله، المعبود بحقٍ هو الله، فالمستحق للعبادة وحده لا شريك له هو الله.

٢- عن طريق الإقرار بخالق الشمس ومدبرها :

عن أبي ذر رضي الله عنه قال: كنت مع النبي ^ في المسجد عند غروب الشمس فقال : «**يا أبا ذر أتدري ؟ أين تغرب الشمس ؟** قلت: الله ورسوله أعلم. قال: **فإنها تذهب حتى تسجد تحت العرش** فذلك قوله تعالى : (ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ى) [١] »[٢].

في هذا الحديث بين النبي ^ لأبي ذر، شيئاً من تدبير الله تعالى لخلقه وهو تدبير أمر هذا السراج الوهاج، بينه له عن طريق الحوار الذي بدأه بالاستفهام؛ «**أتدري يا أبا ذر : أين تذهب**». فقال له أبو ذر: الله ورسوله أعلم. تأدباً مع رسول الله ^. والذي يظهر أنها الحقيقة، فإن ذلك من علم الغيب.

بهذا الأسلوب الحواري يقرر النبي ^، توحيد الربوبية بالإقرار بمدبر الشمس وأنها وهي تجري في الفلك الذي خلقه لها. كما قال تعالى: (ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ى ى ئا ئا ئە ئە ئو ئو ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ ئې ئې ئې ئى ئى ئى ی ی ی ی □ □ □ □ □ □) [٣].

تسجد لله سجوداً يناسب حالها، قال ابن تيمية : «ومعلوم أن الشمس لا تزال في الفلك كما أخبر الله تعالى بقوله : (ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ى ى ئا ئا ئە ئە) [٤] . فهي لا تزال تسبح في الفلك وهي تسجد لله وتستأذنه كل ليلة، كما أخبر النبي ^، فهي تسجد سجوداً يناسبها، وتخضع له وتخشع كما يخضع ويخشع كل ساجد من الملائكة والجن والإنس»[٥].

٣- عن طريق الحوار للإقرار بأن الله هو الرزاق :

عن أبي ذر رضي لله عنه قال. قال رسول الله ^ « **.. ولك في جماعك زوجتك أجر.** قال أبو ذر: كيف يكون لي أجر في شهوتي فقال رسول الله ^ **أرأيت لو كان لك ولد فأدرك ورجوت خيره فمات أكنت تحتسب به.** قلت: نعم. قال: **فأنت خلقته**. قال: بل الله خلقه، قال: **فأنت هديته ؟** قال: بل الله هداه. قال: **فأنت ترزقه؟** قال: بل الله كان يرزقه. قال: **كذلك فضعه في حلال**»[٦].

في هذا الحوار النبوي مع الصحابي الجليل أبي ذر رضي الله عنه بين النبي ^ أوجه البر المختلفة التي يمكن أن يقوم العبد بها، وأن أبواب الخير مشرعة لكل من أراد التقرب إلى الله تعالى، وأن هذه الأعمال الصالحة صدقة في موازين العبد.

---

(١) رواه البخاري ح٣١٩٩ (١٣١/٤) ومسلم (ح٤٢١) ٩٦/١.
(٢) سورة يس، آية : (٣٨).
(٣) سورة يس ، آية : (٣٨، ٣٩، ٤٠).
(٤) سورة الأنبياء، آية : (٣٣)
(٥) ابن تيمية، جامع الرسائل، تحقيق محمد رشاد سالم، دار العطاء، ط١، ١٤٢٢هـ، الرياض، (٣٦/١).
(٦) رواه أحمد في مسنده قال شعيب الأرنؤوط في تعليقه: إسناده صحيح ورجاله ثقات رجال الصحيح، مسند أحمد ، مؤسسة قرطبة، القاهرة (١٦٨/٥) ح (٢١٥٢٢) ورواه ابن حبان في صحيحه، صحيح ابن حبان، مؤسسة الرسالة، (٥٠٤/٩).

هذا الحوار يبين ما نحن بصدد الحديث عنه، وهو تقرير توحيد الربوبية عن طريق الحوار. حيث يقرر هذا الحديث أن الخلق لله وحده – وقد تقدمت الإشارة إليه(١)- كما يقرر هذا الحوار النبوي أن الرزق من خصائص الله، وذلك بقوله: فأنت ترزقه؟ قال: بل الله كان يرزقه. فالرزق من خصائص الربوبية؛ فهو تعالى سبحانه الذي تكفل برزق الجن والإنس والدواب كلها؛ فلا يشاركه في ذلك مشارك تعالى عما يقول الظالمون علواً كبيراً، وقال تعالى : (ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ پ پ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ) (٢) . وقال سبحانه : (ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ) (٣) . وبين تعالى أنه هو وحده الذي يرزق من السماء والأرض فقال في كتابه : (ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ې ې ى ى ئا ئا ئە ئە ئو ئو ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ ئې) (٤) .

فهو وحده الذي يرزق. إن منع أحداً الرزق اضطربت أحواله فلا يجد له رازقاً من بعده (ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ې ې) (٥) .

وقال ^ : «**لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصاً وتروح بطاناً**» (٦).

فالنبي ^ يغرس هذه العقيدة في نفوس أصحابه بأن الله هو الذي يرزق وأن ما يقومون به لا يتعدى أن يكون سبباً. ولذلك يقول ^ : «**دعو الناس يرزق الله بعضهم من بعض**»(٧). فأضاف الرزق إلى الله تعالى. وهذا قد امتلأت به قلوب الصحابة رضي الله عنهم؛ فهذا بلال رضي الله عنه يقول: عن النبي ^ : «كان إذا أتاه الإنسان مسلماً فرآه عارياً يأمرني فأنطلق فأستقرض فأشتري البردة فأكسوه وأطعمه. حتى اعترضني رجل من المشركين، فقال: يا بلال، إن عندي سعةً. فلا تستقرض من أحد إلا منِّي. ففعلت، فلما أن كان ذات يوم توضأت ثم قمت لأوذن بالصلاة، فإذا المشرك قد أقبل في عصابة من التجار، فلما أن رآني قال: يا حبشي، قلت: يا لباه. فتجهمني وقال لي قولاً غليظاً. وقال لي: أتدري كم بينك وبين الشهر. قال: قلت: قريب. قال: إنما بينك وبينه أربع فأخذك بالذي عليك، فأردك ترعى الغنم كما كنت قبل ذلك، فآخذ في نفسي ما يأخذ في أنفس الناس حتى إذا صليت العتمة رجع رسول الله ^ إلى أهله. فاستأذنت عليه فأذن لي. فقلت: يا رسول الله بأبي أنت وأمي؛ إن المشرك الذي كنت أتدين منه قال لي: كذا وكذا، وليس عندك ما تقضي عني ولا عندي وهو فاضحي. فأذن لي أن آبق إلى بعض هؤلاء الأحياء الذي قد أسلموا حتى يرزق الله رسوله ^ ما يقضي عني»(٨).

ففي هذا الحوار الذي دار بين رسول الله^ وبلال رضي الله عنه تقرير لتوحيد الربوبية حيث أن بلالًا أضاف الرزق إلى الله فيقول: حتى يرزق الله رسوله ^، وهذا الأمر وإن كان ثابتاً في قلوب الصحابة إلا أن الحوار لتقريره يزيد إيمان العبد بهذا التوحيد، لاسيما بالطريقة التي جاءت في الحديث الشريف. قال النبي ^ : «**فأنت ترزقه ؟** قال: بل الله كان يرزقه» فهذا الأسلوب الحواري له أثره في تعميق هذه العقيدة في نفس الصحابي بل وحتى في نفس السامع لهذا الحديث، أكثر مما لو قال له النبي ^ : الله خلقه وهداه ورزقه.

---

(١) ص (١٤).
(٢) سورة هود ، آية : (٦).
(٣) سورة الذاريات، آية : (٥٦).
(٤) سورة يونس، آية : (٣١).
(٥) سورة الملك، آية : (٢١).
(٦) رواه الترمذي (٥٧٣/٤) ح (٢٣٤٤) وأحمد في المسند (٣٠/١) ح (٢٠٥) . وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٥٥٧/١) ح (٣١٠).
(٧) رواه مسلم، (٦/٥) ح (٣٩٠٢).
(٨) رواه أبو داود وصححه الألباني، صحيح أبي داود ح٣٠٠٥ (٥٥/٧).

المبحث الثاني
الحوار في الحديث النبوي لتقرير توحيد العبادة «الألوهية»

توحيد العبادة: هو إقرار الله بالعبادة، أي إخلاص جميع العبادات الظاهرة والباطنة لله تعالى لا شريك له.

فهذا التوحيد أخذ اهتماماً بالغاً من رسل الله وأنبيائه، إذ هو موضوع بعثة الرسل. قال تعالى: (ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ) (١) . فهؤلاء أنبياء الله نوح وهود وصالح عليهم السلام كلهم تتفق دعوتهم لأقوامهم (ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ) (٢) .

أما النبي الخاتم خير البرية نبينا محمد ^. فقد كانت دعوته ورسالته تتصدرها الدعوة إلى توحيد العبادة ومحاربة الشرك وقد نهج ^ في تقرير عقيدة توحيد العبادة أساليب متعددة، فتارة بالخطاب المباشر إلى إخلاص العبادة لله تعالى والبعد عن الشرك كقوله ^ : «**اجتنبوا السبع الموبقات** قالوا: يا رسول الله وما هن. قال: **الشرك بالله**.. الحديث»(٣).

وتارة بضرب الأمثلة القياسية لتقرير هذه العقيدة كقوله ^ في حديث يحيى بن زكريا في الكلمات التي أمر بها بني إسرائيل حيث قال : «**أولاهن أن لا تشركوا بالله شيئا، فإن من أشرك بالله مثله كمثل رجل اشترى عبداً من خالص ماله بذهب أو ورق ثم قال له : هذه داري وعملي. فأعمل لي واد إلي عملك فجعل يعمل ويؤدي عمله إلى غير سيده. فأيكم يحب أن يكون له عبد كذلك**»(٤).

وأحياناً ببيان الوعيد المترتب على الإخلال بهذه العقيدة من إحباط العمل والخلود في النار والخوف على الأمة من الوقوع في قوادح توحيد العبادة، قال ^ في الحديث القدسي : «**قال الله تعالى : أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه**»(٥).

وقوله ^: «**إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر**»(٦).

ومن منهج النبي ^ في تقرير توحيد الألوهية بيان فضائله العظيمة من تكفير الذنوب وتثقيل الموازين وتحريم النار على من حققه، ودخوله الجنة.

قال رسول الله ^ : « **إِنَّ اللَّهَ سَيُخَلِّصُ رَجُلاً مِنْ أُمَّتِي عَلَى رُءُوسِ الْخَلائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيَنْشُرُ عَلَيْهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ سِجِلاً، كُلُّ سِجِلٍّ مِثْلُ مَدِّ الْبَصَرِ. ثُمَّ يَقُولُ أَتُنْكِرُ مِنْ هَذَا شَيْئًا أَظَلَمَكَ كَتَبَتِي الْحَافِظُونَ فَيَقُولُ: لا يَا رَبِّ فَيَقُولُ: أَفَلَكَ عُذْرٌ فَيَقُولُ: لا يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: بَلَى إِنَّ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَةً فَإِنَّهُ لا ظُلْمَ عَلَيْكَ الْيَوْمَ، فَتَخْرُجُ بِطَاقَةٌ فِيهَا: أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلاَّ الله وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَيَقُولُ: احْضُرْ وَزْنَكَ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ مَا هَذِهِ الْبِطَاقَةُ مَعَ هَذِهِ السِّجِلاَّتِ، فَقَالَ: إِنَّكَ لا تُظْلَمُ قَالَ: فَتُوضَعُ السِّجِلاَّتُ فِي كَفَّةٍ، وَالْبِطَاقَةُ فِي كَفَّةٍ، فَطَاشَتْ السِّجِلاَّتُ وَثَقُلَتْ الْبِطَاقَةُ، فَلا يَثْقُلُ مَعَ اسْمِ اللَّهِ شَيْءٌ** »(٧).

فهذه السجلات العظيمة التي امتلأت من الذنوب لما وضعت في كفة ووضعت البطاقة التي فيها لا إله إلا الله في كفة رجحت بها، فمتى كانت هذه الكلمة خالصة تحققت شروطها ولم يأت صاحبها بشيء من القوادح التي تخل بها فإن فضلها عظيم، «لما قالها بنوع من الصدق

---

(١) سورة النمل، آية : (٣٦).
(٢) سورة المؤمنون، آية : (٢٣).
(٣) رواه البخاري، ح٢٧٦٦ (١٢/٤) ومسلم ح ٢٧٢ (٦٤/١).
(٤) رواه ابن خزيمة في صحيحه، ح٩٣٠ (٦٤/٢) وأبو يعلى في مسنده، ح١٥٧١ (١٤٠/٣٠).
(٥) رواه مسلم، ح٧٦٦٦، (٢٢٣/٨).
(٦) رواه الإمام أحمد في مسنده، ح٢٣٦٨، (٤٢٨/٥).
(٧) رواه أحمد في مسنده (٢١٣/٢) والترمذي ح٢٦٣٩ (٢٤/٥) وقال حديث حسن غريب، وصححه الألباني، السلسلة الصحيحة ح١٣٥.

والإخلاص الذي يمحو السيئات»[١]. قال ابن تيمية ـ رحمه الله ـ: «وذلك لعظم ما في قلبه من الإيمان واليقين، وإلا فلو كان كل من نطق بهذه الكلمة تكفر خطاياه لم يدخل النار من أهل الكبائر المؤمنين بل والمنافقين أحد، وهذا خلاف ماتواترت به الآيات والسنن»[٢].

ومن معالم منهج تقرير عقيدة توحيد العبادة في السنة النبوية استخدام الحوار في تقريرها. فالمتأمل في السنة النبوية يبدو له واضحا جلياً تقرير توحيد الألوهية بالحوار، وهذه بعض النماذج من السنة النبوية التي برز فيها الحوار لتقرير هذه العقيدة.

أولاً: الحوار في الحديث النبوي لتقرير فضل كلمة التوحيد «لا إله إلا الله» :

١- أن عتبان بن مالك رضي الله عنه[٣] – وهو من أصحاب النبي ^ ممن شهد بدراً من الأنصار؛ أنه أتى رسول الله ^، فقال: يا رسول الله إني قد أنكرت بصري وأنا أصلي لقومي وإذا كانت الأمطار سال الوادي الذي بيني وبينهم ولم أستطع أن آتي مسجدهم فأصلي لهم، وددت أنك يا رسول الله تأتي فتصلي في مصلى، فأ تخذه مصلى. قال: فقال رسول الله ^ : **«سأفعل إن شاء الله»**.

قال عتبان : فغدا رسول الله ^ وأبو بكر الصديق حين ارتفع النهار فاستأذن رسول الله ^، فأذنت له فلم يجلس حتى دخل البيت ثم قال: **«أين تحب أن أصلي من بيتك»** قال: فأشرت إلى ناحية من البيت، فقام رسول الله ^؛ فكبر فقمنا وراءه فصلى ركعتين ثم سلَّم. قال: وحبسناه على خزير[٤] صنعناه له. قال: فثاب رجال من أهل الدار حولنا حتى أجتمع في البيت رجال ذوو عدد فقال قائل منهم: أين مالك بن الدخشن[٥] ؟ فقال بعضهم: ذلك منافق لا يحب الله ورسوله. فقال رسول الله ^:**«لا تقل له ذلك ألا تراه قد قال لا إله إلا الله يريد بذلك وجه الله»** قالوا: «الله ورسوله أعلم. فإنما نرى وجهه ونصيحته للمنافقين». قال رسول الله ^: **«فإن الله قد حرم على النار من قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله»**[٦].

في هذا الحوار الذي دار بين النبي ^ وأصحابه يتبين فضل كلمة التوحيد، حيث أن النبي ^، نهى من قال: إنه منافق لا يحب الله ورسوله، وذلك لأن الرجل قال: لا إله إلا الله يريد بذلك وجه الله «فنهى النبي ^ أن يرمي أحد بالنفاق لقرائن تظهر عليه، وقد كان النبي ^ يجري على المنافقين أحكام المسلمين في الظاهر، مع علمه بنفاق بعضهم، فكيف بمسلم يرمي بذلك بمجرد قرينه»[٧].

وكأن الصحابة رضوان الله عليهم، فهموا الاستفهام لا الجزم من قوله ^ **«ألا تراه قد قال لا إله إلا الله»**. ورواية مسلم **«أليس يشهد»**. ولولا ذلك لم يقولوا في جوابهم «أنه ليقول ذلك وما هو في قلبه» كما وقع في رواية عند مسلم[٨].

ومع أن الصحابة رضي الله عنهم الذين كانوا في المجلس بينوا السبب الذي بنوا عليه حكمهم وذلك بقولهم : الله ورسوله أعلم، فإنما نرى وجهه ونصيحته للمنافقين. إلا أن النبي ^ أكدَّ بوضوح أن كلمة التوحيد متى قالها قائلها صادقاً من قلبه فإن الله يحرمه على النار وذلك بقوله ^ : **«فإن الله حرم على النار من قال لا إله الله يبتغي بذلك وجه الله»**، ولا ريب أن هذا

---

(١) ابن تيمية، الإيمان الأوسط، دار طيبة ط١، ١٤٢٢هـ (٢٢٤/١).
(٢) ابن تيمية، مختصر الفتاوى المصرية (٤٠/٢).
(٣) هو الصحابي الجليل عتبان بن مالك الخزرجي، الأنصاري، من البدريين، مات أيام معاوية رضي الله عنهما. أسد الغابة (١٩٧/٣).
(٤) نوع من الأطعمة. قال ابن قتيبة : قطع من لحم يقطع صغارا ثم يصب عليه ماء كثير فإذا نضج ذر عليه الدقيق وإن لم يكن فيه لحم فهو عصيدة. فتح الباري لابن حجر (٥٢١/١).
(٥) صحابي جليل شهد بدراً وهو الذي أرسله النبي ^ فأحرق مسجد الضرار وقال ابن الأثير: و لا يصح عنه النفاق.انظر أسد الغابة (١٨/٤)
(٦) رواه البخاري (١١٦/١) ومسلم (١٢٦/٢)
(٧) ابن رجب، فتح الباري، دار ابن الجوزي، الدمام ط٢، ١٤٢٢هـ (٣٨٢/٢).
(٨) ابن حجر، فتح الباري (٥٢١/١).

فضل عظيم أن يحرم الله عليه دخول النار فيكون من أهل الجنة، قال تعالى : (ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ)[١]. وهذا هو ظاهر الحديث، بخلاف من قال: أن التحريم ينصرف إلى الخلود في النار أو إلى النار التي تكون للكافرين، وليس هناك أدلة قوية تصرف هذا اللفظ عن ظاهره؛ بل الأدلة الأخرى الواردة في فضل كلمة التوحيد تدل على أن العبد إذا قال كلمة التوحيد مخلصاً لله تعالى فإنها تكفر الذنوب وتثقل الموازين وتوجب دخول الجنة وتحرم دخول النار.

بهذا الحوار يقرر النبي ^ فضل كلمة التوحيد «لا إله إلا الله» فقول النبي ^: **«فإن الله قد حرم على النار من قال : لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله»** فهذا النص يظهر أنه عاما لكل من اتصف بهذا الوصف وهو قول لا إله إلا الله مع الإخلاص في ذلك، وليس فيه دلالة على أن مالكاً بن الدخشن داخلاً فيه، وإنما يبين النبي ^ حقيقة فضل هذه الكلمة؛ ولعل الأولى بالقبول هو أن هذا تأكيد لفضل كلمة التوحيد مع بيان أن هذا الرجل قالها خالصاً من قلبه وأن هذا الفضل الذي حازه بهذه الكلمة العظيمة والتي أدخلته في الإسلام بيقين لا يمكن أن يحكم بضدها؟ فيصنف مع المنافقين، حيث أن المنافقين الذين يمثلون حزباً ضد دعوة الإسلام في المدينة هم أصحاب النفاق الاعتقادي الذي ينافي أصل كلمة التوحيد «لا إله إلا الله».

يضاف إلى ذلك كون الرجل من البدريين[٢] وقد قال ^ كما في قصة حاطب بن أبي بلتعة[٣] : **«لعل الله أطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فإني قد غفرت لكم»**[٤]. فقد يكون لمالك بن الدخشن عذر في مخالطة المنافقين لم يطلع عليه الصحابة الذين قالوا هذا القول.

٢- عن أنس بن مالك[٥] رضي الله عنه أن النبي ^ ومعاذ رديفه على الرحل، قال: **يا معاذ بن جبل،** قال: لبيك يا رسول الله وسعديك. قال: **يا معاذ** قال: لبيك يا رسول الله وسعديك ثلاثاً، قال: **ما من أحد يشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله صدقاً من قلبه إلا حرمه الله على النار**. قال يا رسول الله، أفلا أخبر به الناس فيستبشروا قال: **«إذاً يتكلوا»**. وأخبر بها معاذ عند موته تأثماً[٦].

يتضمن هذا الحديث حوار النبي ^ مع معاذ بن جبل رضي الله عنه، مبتدأ هذا الحوار بأسلوب النداء يثير اهتمامه وانتباهه ومع إجابة معاذ رضي الله عنه له ^: لبيك يا رسول الله. إلا أن النبي ^ أعاد عليه هذا النداء؛ فبلغ اهتمام معاذ وانتباهه الذروة، حين أجاب ثلاثاً: لبيك يا رسول الله وسعديك فبين له ^فضل كلمة التوحيد وهو أن من شهد بها صدقاً من قلبه، فإن الله يحرمه على النار.

وهذا الفضل على عظمته – كما أسلفنا – فإنه – أيضاً – شامل لكل من شهد بهذه الكلمة صدقاً من قلبه، وقوله **«يشهد»** أي تكلم بهذه الكلمة وهو عارفاً لمعناها عاملاً بمقتضاها باطناً وظاهراً. أما النطق بها من غير معرفة لمعناها ولا عملاً بمقتضاها فإن ذلك غير نافع؛ فكيف يشهد وهو لا يعلم فمجرد النطق بالشيء لا يسمى شهادة[٧].

ولا ريب أن التوحيد ليس كلمة تقال لا معنى لها؛ بل له معنى عظيم من أجل المعاني،

---

(١) سورة آل عمران، آية : (١٨٥).

(٢) انظر أسد الغابة (١٨/٤)

(٣) هو الصحابي حاطب بن بلتعة خالفة بطن من لخم، من البدريين وقد شهد صلح الحديبية صاحب القصة التي أرسل فيها كتاب إلى أهل مكة ينذرهم بقدوم النبي صلى الله عليه وسلم إليهم في فتح مكة. قال عمر: يا رسول الله دعني اضرب عنق هذا المنافق، فقال صلى الله عليه وسلم: لعل الله أطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم. أسد الغابة ٤١١/١.

(٤) رواه البخاري (٧٣/٤) ومسلم (١٦٧/٧).

(٥) هو الصحابي الجليل أنس بن مالك بن النضر خادم رسول الله ^، وأمه أم سيمة بنت ملحان، كان من المكثرين من رواية الحديث دعا له رسول الله ^بكثرة المال، والولد، أسد الغابة ١٥٠/١.

(٦) رواه البخاري (٤٤/١) ومسلم (٤٥/١).

(٧) انظر: سليمان بن عبد الله. تيسير العزيز الحميد، مكتبة الرياض، ٥٣/١.

وذلك بالبراءة من عبادة كلما سوى الله تعالى والإقبال بالقلب والعبادة على الله وحده لا شريك له[١]. قال تعالى : ( ) [٢] . وقال تعالى : (ں ں ڻ ڻ ڐ ڎ ۀ ۀ ہ ہ ۂ ۃ ھ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ﮎ ﮎ ﮏ ﮏ ۇ ۇ)[٣] .

وفي حواره ^، أكد على شهادة «أن محمداً عبده ورسوله» مع أن الشهادة بكلمة التوحيد «لا إله إلا الله» تتضمن الشهادة له بالرسالة من حيث أنها تعني الدخول في كامل الدين وهي لا تقبل من لا يشهد للنبي ^ بالرسالة وعلى هذا عمل الأحاديث التي تقدمت، كما في حديث أسامة بن زيد رضي لله عنه «أقتلته بعد أن قال لا إله إلا الله»[٤]. وقول النبي ^ لعَّمه : **«قل لا إله إلا الله كلمة أحاجَّ لك بها عند الله»**[٥].

فمن كان ينكر الشهادة للنبي ^ بالرسالة بقلبه أو لسانه فليس بمسلم ومن تكلم بالشهادة «شهادة التوحيد لا إله إلا الله ويشهد بالرسالة للنبي ^ فإن كلمة التوحيد تتضمنها»[٦].

٣- قال أبو هريرة رضي الله عنه؛ كنا قعوداً حول رسول الله ^، معنا أبو بكر وعمر في نفر فقام رسول الله ^ من بين أظهرنا فأبطأ علينا وخشينا أن يقتطع دوننا[٧] وفزعنا فقمنا فكنت أول من فرع فخرجت ابتغي رسول الله ^ حتى أتيت حائطاً للأنصار لبني النجار فدرت به هل أجد له باباً فلم أجد، فإذا ربيع يدخل في جوف حائط من بئر خارجه، والربيع الجدول، فاحتفزت كما يحتفز الثعلب، فدخلت على رسول الله ^، فقال: **«أبو هريرة»**. فقلت: نعم يا رسول الله. قال: **«ما شأنك»** قلت: كنت بين أظهرنا فقمت فأبطأت علينا فخشينا أن تقتطع دوننا ففزعنا فكنت أول من فزع، فأتيت هذا الحائط فاحتفزت كما يحتفز الثعلب، وهؤلاء الناس ورائي فقال: **«يا أبا هريرة»** وأعطاني نعليه قال: **أذهب بنعلي هاتين فمن لقيت من وراء هذا الحائط يشهد أن لا إله إلا الله مستيقناً به قلبه فبشره بالجنة،** فكان أول من لقيت عمر فقال: ما هاتان النعلان يا أبا هريرة. فقلت: هاتان نعلا رسول الله ^. بعثني بها من لقيت يشهد أن لا إله إلا الله مستيقناً بها قلبه بشرته بالجنة. فضرب عمر بيده بين ثديي فخررت لإستي، فقال: أرجع يا أبا هريرة فرجعت إلى رسول الله ^ فأجهشت بكاءً وركبني عمر فإذا هو على أثري فقال لي رسول الله ^ : **«مالك يا أبا هريرة»**. قلت: عمر فأخبرته بالذي بعثني به فضرب بين ثدييَّ ضربة خررت على استي قال ارجع. فقال رسول الله ^ :**«يا عمر ما حملك على ما فعلت »**قال: يا رسول الله بأبي أنت وأمي أبعثت أبا هريرة بنعليك من لقي يشهد أن لا إله إلا الله مستيقناً بها قلبه بشره بالجنة. قال : **«نعم»** قال: فلا تفعل فإني أخشى أن يتكل الناس عليها فخلهم يعملون. قال ^: **«فخلهم»**[٨].

حوار النبي ^ مع أبي هريرة وعمر رضي الله عنهما في هذا الحديث تضمن فوائد كثيرة. منها مكانة النبي ^ العظيمة عند أصحابه رضي الله عنهم وشجاعة الصحابة والتضحية لحمايته ^ من كل مكروه. ومن ذلك أن الاستفسار من الشخص ومعرفة عذره مقدم على إصدار الحكم عليه.

وقد وقع في الحوار أن النبي ^ أعطاه نعليه وطلب منه زفَّ البشارة إلى من كان خلف الحائط تطيباً لنفوسهم وإكراماً لما قاموا به من نصرة نبي الرحمة ^.

«وأما إعطاءه النعلين فلتكون علامة ظاهرة معلومة عندهم يعرفون بها أنه لقي النبي ^

(١) المصدر نفسه ١١٣/١.
(٢) سورة البقرة، آية : (٢٥٦).
(٣) سورة الأنعام، آية : (١٤).
(٤) رواه البخاري (١٨٣/٥) ومسلم (٦٨/١).
(٥) رواه البخاري (٦٦/٥) وأحمد في مسنده (٤٣٣/٥).
(٦) انظر يوسف الغفيص، شرح لمعة الاعتقاد (١٧٨/١).
(٧) أي : يحال بيننا وبينه بأخذٍ أو هلاك. انظر المعجم ١٢٣/١.
(٨) روه مسلم، ك: الإيمان، باب: من لقي الله بالإيمان، ٤٤/١.

ويكون أوقع في نفوسهم لما يخبرهم به عنه ^، ولا ينكر كون مثل هذا يفيد تأكيداً وإن كان خبره مقبولاً من غير هذا»[١].

وأهمَّ ما تم تقريره في هذا الحوار هو فضل كلمة التوحيد «لا إله إلا الله» فقد قال النبي ^ لأبي هريرة رضي الله عنه «**فمن لقيت من وراء هذا الحائط يشهد أن لا إله إلا الله مستيقناً بها قلبه فبشره بالجنة**» وهذا هو ما علَّمه ^ لمعاذ بن جبل رضي الله عنه في الحديث الذي تقدم شرحه[٢].

٤- عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه : عن رسول الله ^ قال : «**قال موسى عليه السلام: يا رب علمني شيئاً أذكرك به وأدعوك به. قال: يا موسى قل: لا إله إلا الله. قال: لا إله إلا أنت، ربي إنما أريد شيئاً تخصني به. قال: يا موسى لو أن السموات السبع وعامرهن غيري والأرضين السبع في كفه ولا إله إلا الله في كفة مالت بهن لا إله إلا الله**»[٣].

هذا الحوار الشريف الذي كان بين الله تبارك وتعالى وموسى كليمه عليه السلام، وقد أخبرنا به رسولنا المصطفى ^ لما في ذلك من الفوائد العظيمة التي تبين فضل كلمة التوحيد وعلو قدرها. مع ما فيه من الفوائد الأخرى الكثيرة التي منها:-

أ- حرص موسى عليه السلام على التعلم والذكر والدعاء حيث دعا ربه أن يعلمه ذكراً يدعوه به حيث قال : «يا رب علمن شيئاً اذكرك به وأدعوك به».

ب- تأدب موسى عليه السلام مع ربه تعالى حيث كلمه بالألوهية فقال: «لا إله إلا أنت، رب إنما أريد شيئاً تخصني به».

ج- المسابقة في الخيرات وطلب الدرجات العلى عند الله تعالى فهذا موسى عليه السلام يطلب ذكراً ودعاءً يخصه الله به دون غيره من الناس كل ذلك طلباً لما عند الله من الدرجات العلى والمكانة العظيمة عند ربه ومولاه ولذلك قال: «إنما أريد شيئاً تخصني به».

د- فضل لا إله إلا الله وأنها ثقيلة في ميزان العبد يوم القيامة قال تعالى : ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ)[٤]. وقال جل من قائل : (ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ)[٥] .

ثانياً: الحوار في الحديث النبوي لتقرير أن توحيد الألوهية حق الله على العباد.

قال معاذ بن جبل رضي الله عنه: كنت ردف النبي ^ ليس بيني وبينه إلا مؤخرة الرحل. فقال : «**يا معاذ بن جبل** قلت: لبيك رسول الله وسعديك . ثم سار ساعة ثم قال: **يا معاذ بن جبل**. قلت: لبيك رسول الله وسعديك. ثم سار ساعة ثم قال: **يا معاذ بن جبل**. قلت: لبيك رسول الله وسعديك. قال: **هل تدري ما حق الله على العباد**. قال: قلت:الله ورسوله أعلم. قال: **فإن حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً**. ثم سار ساعة ثم قال: **يا معاذ بن جبل**. قلت لبيك رسول الله وسعديك. قال: **هل تدري ما حق العباد على الله إذا فعلوا ذلك**. قال: قلت: الله ورسوله أعلم. قال: **أن لا يعذبهم**»[٦].

يتجلى في هذا الحوار النبوي مع معاذ بن جبل رضي الله عنه عدد من الأساليب التي استثارت اهتمام معاذ ليتلقى هذا العلم وهو في غاية الانتباه، ليكون أكثر رسوخاً في نفسه وقلبه.فإن الصحابة جميعهم ومنهم معاذ الذي هو من كبار علمائهم وقرائهم يأخذ حديث النبي ^ بمجامع قلوبهم ومع ذلك فإن رسول الهدى ^ أضاف إلى ذلك عدداً من الأساليب الأخرى للفت

---

(١) انظر: شرح النووي (١٠٨/١).

(٢) ص (٢٩).

(٣) رواه الحاكم في المستدرك، ك: الدعاء والتكبير. (٧١٠/١) وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي.

ورواه البغوي في شرح السنة، المكتب الإسلامي ط٢، (٥٤/٥)وقال الحافظ في الفتح أخرجه النسائي بسند صحيح الفتح (٢٠٨/١١) ورواه النسائي في السنن الكبرى (٣٠٧/٩).

(٤) سورة القارعة : (٦، ٧).

(٥) سورة الأعراف، آية (٨، ٩).

(٦) رواه البخاري، ح٥٩٦٧ (٢١٨/٧)، ومسلم، ح ١٥٢ (٤٣/١).

اهتمامه. فناداه باسمه واسم أبيه ثلاث مرات، مرة بعد مرة **«يا معاذ بن جبل»** ومعاذ في كل مرة يجيبه بأدب. جمَّ «لبيك رسول الله وسعديك» ثم بعد هذا النداء المتكرر باشره بسؤال في غاية الأهمية هل تدري ما حق الله على العباد فأعاد معاذ العلم إلى الله ورسوله قائلاً: «الله ورسوله أعلم» الآن وقد تهيأت نفس معاذ لحمل هذا العلم العظيم وضبطه، فبين له ^ ذلك بقوله: **«حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا»**.

فلا ريب أن هذا الحق هو الغاية التي من أجلها خلقت الجن والإنس. كما قال تعالى : (ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ) [١] . والتي من أجلها بعثت الرسل، قال تعالى: (ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ) [٢] .ولذلك فإن هذا الحق واجب لله تعالى على عبيده وهو مضمون كلمة التوحيد «لا إله إلا الله» فهذه الكلمة تقوم على ركنين عظيمين: الكفر بالطاغوت وعبادة الله وحده. قال تعالى : (□ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □) [٣] .

ثم سأل النبي ^ معاذاً السؤال الثاني: وهو **«هل تدري ما حق العباد على الله تعالى إذ هم فعلوا ذلك»**. ولما أعاد معاذ العلم مرة أخرى إلى الله ورسوله وضحَّ له النبي ^ هذا الحق بقوله : **«أن لا يعذب من لا يشرك به»**. وهذا الحق إنما هو حق تفضلٍ وإنعام من الله تعالى وليس كالحق الأول، لأن الله تعالى لا يجب عليه حق لأحد فكل الخلق خلقه والملك ملكه فلا آمر على الله تعالى؛ فهذا الحق الذي وعد به تعالى لعباده الموحدين حق على سبيل التفضل لا على سبيل المعاوضة. والله يوجب على نفسه ما يشاء كما قال تعالى : (ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ) [٤] .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : «ما دل عليه الكتاب والسنة وكان عليه سلف الأمة وأئمتها، كالأئمة الأربعة وغيرهم: إنه سبحانه عليم حكيم رحيم، وإنه كتب على نفسه الرحمة كما أخبر في كتابه، وحرم على نفسه الظلم، كما ثبت في الحديث الصحيح الإلهي عن أبي ذر الغفاري عن النبي ^ فيما يخبر به عن ربه عز وجل أنه **قال : يا عبادي، إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً، فلا تظالموا»** [٥]. وإنه أوجب على نفسه نصر المؤمنين، كما قال تعالى : (ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ) [٦]. فليس للمخلوق بنفسه على الله حق، ولا يقاس الخالق بالمخلوق فيما يفعله، كما لا يقاس بالمخلوق في صفاته وذاته، بل ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله، ولكن هو كتب على نفسه الرحمة، وحرم على نفسه الظلم كما تقدم. وقد اتفق المسلمون على أنه أخبر به من ثواب المؤمنين وعقوبة الكافرين، وأنه صادق لا يخلف الميعاد، ما اتفقوا على ثبوت الخبر، وإنما النزاع في كتابته على نفسه وتحريمه على نفسه لكن النصوص دلت على ذلك [٧].

٣- الحوار في الحديث النبوي لتقرير تعظيم الله تعالى.

عن جبير بن مطعم[٨] قال: أتى رسول الله ^ أعرابي فقال يا رسول الله : جهدت الأنفس وضاعت العيال ونهكت الأموال وهلكت الأنعام فاستسق الله لنا، فإنا نستشفع بك على الله، ونستشفع بالله عليك. قال رسول الله ^ **«ويحك أتدري ما تقول»**. وسبَّح رسول الله ^، فما زال يسبح حتى عُرف ذلك في وجوه أصحابه، ثم قال: **«ويحك إنه لا يستشفع بالله على أحد من خلقه شأن الله أعظم من ذلك، ويحك أتدري ما الله ؟ إن عرشه على سمواته لهكذا، وقال**

(١) سورة الذاريات. آية : (٥٦).
(٢) سورة النحل، آية (٣٦).
(٣) سورة البقرة. آية : (٢٥٦).
(٤) سورة الروم، آية : (٤٧)
(٥) رواه مسلم، ح٦٧٣٧ (١٦/٨).
(٦) سورة الروم، آية : (٤٧).
(٧) ابن تيمية، جامع المسائل، ١٥١/١.
(٨) الجبير بن مطعم بن عدي صحابي جليل من حكماء قريش وسادتهم وكذلك أبوه مطعم الذي أجار رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قدم من الطائف وقد أسلم جبير بعد الحديبية وقيل يوم الفتح، أسد الغابة ٣١٠/١.

بأصبعه مثل القبة عليه، وإنه ليئط به أطيط الرحل بالراكب»[١].

تضمن هذا الحديث النبوي عدداً من الفوائد والأساليب التي يجدر بنا أن نشير إلى بعضها قبل الحديث عن ما يقرره هذا الحوار من عظمة الله تعالى :-

١- مشروعية طلب الدعاء والاستسقاء ممن يظن أنه مستجاب الدعوة لصلاحه ودينه،ولذلك طلب هذا الأعرابي من النبي ^ أن يدعو لهم بالسقيا وهذا الصنيع تكرر، من الصحابة وماذاك إلا لعلمهم بأنه ^ مستجاب الدعوة، فبينما رسول الله ^ يخطب الناس على المنبر إذ دخل رجل فقال يا رسول الله هلكت الأموال وانقطعت السبل فأدع الله يغيثنا، فرفع رسول الله ^ يديه ثم قال : «**اللهم أغثنا اللهم أغثنا اللهم أغثنا** قال أنس – راوي الحديث – وما نرى في السماء من سحاب ولا قزعة[٢] وما بيننا وبين سلع[٣] من بيت ولا دار قال: فطلعت من ورائه سحابة مثل الترس[٤] فلم توسطت السماء انتشرت ثم أمطرت – قال – فلا والله ما رأينا الشمس سبتاً .. الحديث»[٥].

وكذلك فعل عمر رضي الله عنه حيث خرج يستسقي وخرج بالعباس رضي الله عنه معه، فقال : «اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا. قال: فيسقون»[٦]. وفي هذا دليل على جواز طلب الدعاء من الصالحين الأحياء ومنع التوسل بالأموات ولو كانوا أفضل مقاماً من الأحياء، إذ لو كان ذلك مشروعاً لاستسقى عمر رضي لله عنه بالنبي ^ أو دعا عند قبره، لكن كل ذلك لم يكن مشروعاً وهذا في حادثة شهدها أصحاب النبي ^ ولم ينكر على عمر ذلك أحد منهم أو استشكل عدوله رضي الله عنه عن التوسل بالنبي ^ والدعاء عند قبره[٧].

٢- تنزيه الله تعالى في كل حال، ويتأكد ذلك عندما يقع من أحدٍ فعلٌ ينافي كمال صفات الله، «وسبح رسول الله ^، فما زال يسبح حتى عرف ذلك في وجوه أصحابه» وهذا الأسلوب يلاحظ في القرآن الكريم.

كما قال تعالى : ﭽ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﭼ[٨] و قال تعالى:(ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ)[٩] .

٣- تقرير عظمة الله تعالى:

هذا الحديث تضمن حواراً بين النبي ^ وأعرابي غرس من خلاله الرسول ^ عظمة الله تعالى في نفس هذا الأعرابي بل وفي قلوب من حضر من الصحابة رضي الله عنهم.

وقد تنوعت أساليب إثارة الانتباه في هذا الخطاب؛ فأولها كلمة «**ويحك**» وهي كلمة تقال لمن وقع في هلكة لا يستحقها، كما أن ويل تقال لمن وقع في هلكة يستحقها وقيل غير ذلك، لكنها – بلا ريب – تثير الاهتمام[١٠]. ثم تلا ذلك الاستفهام الإنكاري بقوله ^ : **أتدري ما تقول ؟** فلا ريب أن الأعرابي ومن كان في مجلسه ^ من الصحابة رضي الله عنهم قد استثار هذا الخطاب اهتمامهم. وكيف لا يستثير هذا النوع من الاستفهام اهتمام المخاطب والسامع. وهو يوحي بوقوع المخاطب في مخالفة جسيمة لم ينتبه لها، ومطالبته بإعادة النظر فيما صدر منه

---

(١) رواه أبو داود، باب في الجهة، ح٤٧٢٨ (٣٦٩/٤)والبزار في مسنده ح ٣٤٣٢ (٣٥٤/٨) وأبوعوانة في مستخرجه ح ٢٠٢٥ (٩١/٢).

(٢) قزعة بفتح القاف والزاي أي سحاب متفرق. (فتح الباري (٥٠٣/٢).

(٣) جبل معروف بالمدينة، المصدر نفسه (٥٠٣/٢)

(٤) أي مستديرة، انظر : المصدر نفسه (٩٣/١).

(٥) رواه البخاري ح١٠١٣ (٣٥/٢) ومسلم ح ٢١١٥ (٢٤/٢).

(٦) رواه البخاري، ح١٠١٠ (٣٤/٢).

(٧) انظر مجموع الفتاوى، ابن تيمية، ١٠٥/١.

(٨) سورة البقرة، آية : (١١٦).

(٩) سورة الأنعام، آية : (١٠٠)

(٣)انظر، فتح الباري(٥٣٨/٣)

من كلام.

وسبح رسول الله ^ فمازال يسبح حتى عُرف ذلك في وجوه أصحابه؛ وهذا التنزيه لله تعالى يزيد في لفت الاهتمام حيث أنه يشعر بوقوع ما يخالف ماالله تعالى من عظمة وكمال، بدلالة قوله «حتى عُرف ذلك في وجوه أصحابه».

ثم جاء البيان والتعليم في هذا الحوار مبتدأ أيضاً بكلمة **«ويحك»** إنه لا يستشفع بالله على أحد من خلقه، فلابد أن النفوس قد تلقت هذا البيان وهي في غاية الانتباه، ليرسخ هذا الأمر فيها وتصبح عقيدة لها بالغ الأثر في حياتهم، ولتأكيد هذه العقيدة في نفوسهم ذكر لهم عظمة العرش عن طريق مقارنته بأعظم ما يشاهدونه من المخلوقات وهي السماء وهذا دليل عقلي لا يمكن للنفوس إلا أن تذعن له؛ وعظمة المخلوق دليل على عظمة الخالق سبحانه وتعالى ومع عظمة هذا العرش إلا أنه ليئط به أطيط الرحل بالراكب. فالله جل وعلا مستوٍ على العرش استواءً يليق بجلاله كما قال تعالى : (ڈ ژ ژ ڑ) [1]. ولزيادة تأكيد هذه العقيدة الإيمانية من تعظيم الله تعالى ومعرفة أن شأنه أعظم من أن يستشفع به على أحد من خلقه، بين لهم ذلك بذكر برهاناً عقلي لا يمكن إلا التسليم له. فقال ^ : **«وإنه ليئط به أطيط الرحل بالراكب».**

ونحن مع إيماننا بأن الله تعالى غني عن كل خلقه، العرش فما دونه، نؤمن أيضاً بأنه تعالى مستوٍ على عرشه استواء يليق بجلاله كما قال تعالى : (ڈ ژ ژ ڑ) لا نعلم كيفية هذا الاستواء قال : (ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ) [2] .

وكما قال الإمام مالك رحمه الله «الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة»[3].

٤- الحوار في الحديث النبوي لتقرير حق التشريع لله تعالى :

عن عدي بن حاتم[4] رض الله عنه قال: أتيت النبي ^ وفي عنقي صليب من ذهب، فقال: **«يا عدي أطرح هذا الوثن من عنقك»** فطرحته فانتهيت إليه وهو يقرأ سورة براءة، فقرأ هذه الآية : ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ) [5]. حتى فرغ منها، فقلت: إنا لسنا نعبدهم فقال : **«أليس يحرمون ما أحل الله فتحرمونه، ويحلون ما حرم الله، فتستحلونه** ؟ قلت: بلى. قال: **فتلك عبادتهم»**[6].

في حوار النبي ^ مع عدي رضي الله عنه فوائد جليلة القدر، وكيف أن النبي ^ بهذا الحوار كان السبب في دخوله الإسلام أولاً؛ فقد جاء في بعض الروايات أن النبي ^ قال له : **«يا عدي بن حاتم أسلم تسلم** ثلاثاً، قال : قلت : إني على دين . قال: **أنا أعلم بدينك منك**، فقلت أنت أعلم بديني منيِّ ؟ قال : **نعم**. ألست من الدكوسية، وأنت تأكل مرباع قومك، قلت: بلى. قال : **فإن هذا لا يحل لك في دينك**، قال: فلم يعد أن قالها، فتواضعت لها، فقال: **أما إني أعلم ما الذي يمنعك من الإسلام، تقول: إنما أتبعه ضعفة الناس ومن لا قوة له وقد رمتهم العرب، أتعرف الحيرة؟** قلت: لم أرها وقد سمعت بها. قال : **والذي نفسي بيده. ليتمن الله هذا الأمر حتى تخرج الظعينة من الحيرة حتى تطوف بالبيت وغير جوار أحد. وليفتحن كنوز كسرى بن هرمز**، قال: قلت: كسرى بن هرمز ! قال : **نعم، كسرى بن هرمز، وليبذلن المال حتى لا يقبله أحد،** قال عدي بن حاتم، فهذه الظعينة تخرج من الحيرة فتطوف بالبيت في غير جوار ولقد كنت فيمن

---

(١) سورة طه، آية : (٥)

(٢) سورة الشورى، آية : (١١).

(٣) اعتقاد أهل السنة، اللالكائي، دار طيبة، الرياض، تحقيق د. أحمد سعد حمدان، ١٤٠٢هـ، ٦٦٤، ٣٩٨/٣.

(٤) هو الصحابي الجليل عدي بن حاتم. أبوه حاتم الجواد الذي يضرب به المثل في الجود. كان عدي نصرانياً وفد على النبي ^ سنة تسع وأسلم، من الذين ثبتوا عندما ارتدت العرب بعد وفاة النبي ^، أسد الغابة ٢٣٢/٣.

(٥) سورة براءة : آية : (٣١).

(٦) رواه البخاري في التاريخ الكبير. والترمذي ح٣٠٩٥ (٢٧٨/٥) والبيهقي في السنن الكبرى ح٢٠٨٤٧ (١١٦/١٠) والطبراني في الكبرح ١٣٦٧٣ (٧/١٢) وسعيد بن منصور في سننه ١٠١٢ (٢٤٥/٥) وحسنه الألباني انظر السلسلة الصحيحة ح٣٢٩٣.

فتح كنوز كسرى بن هرمز والذي نفسي بيده لتكونن الثالثة، لأن رسول الله ^ قد قالها»(١).

كما تضمن الحوار في الحديث ما كان سبباً في ثباته وزيادة إيمانه ويقينه بموعد الله على لسان نبيه ^ ولذلك قال عدي رضي الله عنه : «لتكونن الثالثة لأن رسول الله ^ قد قالها».

٥ـ الحوار في الحديث النبوي لتقرير عقيدة التوكل على الله تعالى و مراقبته :

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كنت رديف النبي ^ فقال: «**يا غلام أو يا غليّم ألا أعلمك كلمات ينفعك الله بهن**»، فقلت: بلى، فقال: **أحفظ الله يحفظك، أحفظ الله تجده أمامك، تعّرف إليه في الرخاء يعرفك في الشدة، وإذا سألت فلسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله قد جف القلم بما هو كائن فلو أن الخلق كلهم جميعاً أردوا أن ينفعوك بشيء لم يكتبه الله عليك، لم يقدروا عليه، وأعلم أن في الصبر على ما تكره خيرا كثير، وأن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب وان مع العسر يسرا**»(٢).

في هذا الحوار الذي دار بين النبي ^ وابن عمه عبد الله بن عباس، رضي الله عنهما تقريراً لعقائد عظيمة من أهمها مراقبة الله تعالى والتوكل عليه، فبعد أن أثار النبي ^ اهتمام ابن عباس لمعرفة الكلمات التي ينفعه الله بها، غرس في نفسه مراقبة الله تعالى وثمرة هذه المراقبة فقال له: **أحفظ الله يحفظك، أحفظ الله تجده أمامك**» وحفظ الله تعالى إنما هو بحفظ أوامره بامتثالها وحفظ نواهيه باجتنابها وأعظم ما يحقق ذلك مراقبة الله تعالى في السر والعلن.

كما تضمن الحوار تقرير عقيدة التوكل وذلك بتفويض الأمور كلها إلى الله تعالى فقال: «**إذا استعنت فاستعن بالله، وإذا سألت فسأل الله**».وجعل مرتكز هذه العقيدة في نفسه الإيمان بالقدر، وأن كل ما يحصل للعبد في حياته وفق ما قدرَّه الله تعالى في اللوح المحفوظ «**قد جف القلم بما هو كائن**» أي أنه لن يكون في حياة العبد إلا ما قد كتبه الله عليه، وأن هذه العقيدة لا تتغير، وإذا كان الأمر كذلك فلا ريب أن الخلق لا يملكون للإنسان نفعاً ولا ضراً إلا ما قد كتبه الله تعالى في اللوح المحفوظ.

وقول النبي ^ «**إذا استعنت فاستعن بالله**» أي أنه لا تطلب الاستعانة التي هي طلب العون – إلا من الله تعالى ولا يستعان بالمخلوق فيما لا يقدر عليه(٣).

لأن الاستعانة بالمخلوق فيما لا يقدر عليه إلا الله شرك ،قال شيخ الإسلام ابن تيمية : «فأما ما لا يقدر عليه إلا الله تعالى، فلا يجوز أن يطلب إلا من الله سبحانه، لا يطلب ذلك من الملائكة ولا من الأنبياء ولا من غيرهم»(٤).

كما قرر الحديث أن العبد عليه أن يتوجه بسؤال إلى ربه ومولاه لأن «في سؤال الناس مفاسد الذل والشرك بهم والإيذاء لهم، وفيها ظلم نفسه بالذل لغير الله عز وجل، وظلم في حق ربه بالشرك به، وظلم للمخلوق بسؤالهم أموالهم»(٥).

وإن كان تقرير عقيدة التوكل على الله ومراقبته تعالى السبب في إيراد هذا الحديث إلا أنه حوي معاني ومفاهيم وفوائد كثيرة لا يمكن الإحاطة بها في هذا النوع من البحوث، ولكن لأهميتها أشير إلى بعضها، فمنها رعاية جانب الإيمان عند الناشئة حيث قال في هذه الرواية: «**يا غليم**».

وأفاد الحديث إلى أهمية عقيدة الإيمان بالقدر وإثبات المرتبة الثانية من مراتبه وهي مرتبة الكتابة دل على ذلك قوله ^ «**قد جف القلم بما هو كائن**».

وإرشاده ^ إلى فضيلة الصبر وأن الكرب مهما طال فإن الفرج قريب.

---

(١) مسند أحمد ح ١٨٢٨٦ (٢٥٧/٤) وابن ماجه في سنن ح ٨٧ (٦٥/١).

(٢) رواه أحمد في المسند، ح٢٨٠٤ (٣٠٧/١) والترمذي ج٢٥١٦ (٦٦٧/٤) وصححه الألباني، ح٨٣٨٢ (٣٨١/٥).

(٣) ابن تيمية. مجموع الفتاوى (١٠٣/١).

(٤) قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة (٢٨٧/٢).

(٥) ابن تيمية. جامع المسائل لابن تيمية (٣٥٨/٤).

٦- الحوار في الحديث النبوي لتقرير التوحيد وكسر الأوثان :

قال عمرو بن عبسة السلمي[١] كنت وأنا في الجاهلية أظن أن الناس على ضلالة، وأنهم ليسوا على شيء وهم يعبدون الأوثان، فسمعت برجل بمكة يخبر أخبارا فقعدت على راحلتي فقدمت عليه فإذا رسول الله ^ مستخفياً جُراء عليه قومه فتلطفت حتى دخلت عليه بمكة فقلت له: ما أنت قال: **«أنا نبي.** قلت: وما نبي. قال: **أرسلني الله.** فقلت وبأي شيء أرسلك. قال: **أرسلني بصلة الأرحام وكسر الأوثان وأن يوحد الله لا يشرك به شيء.** قلت له : فمن معك على هذا. قال: **حر وعبد.** قال: ومعه يومئذ أبو بكر وبلال من آمن به. فقلت إني متبعك. قال: **إنك لا تستطيع ذلك يومك هذا ألا ترى حالي وحال الناس. ولكن أرجع إلى أهلك، فإذا سمعت بي قد ظهرت فأتني.** قال: فذهبت إلى أهلي وقدم رسول الله ^ المدينة وكنت في أهلي فجعلت أخبر الأخبار وأسأل الناس حين قدم المدينة حتى قدم علي نفر من أهل يثرب من أهل المدينة. فقلت: ما فعل هذا الرجل الذي قدم المدينة قالوا: الناس إليه سراع وقد أراد قومه قتله فلم يستطيعوا ذلك. فقدمت المدينة فدخلت عليه فقلت: يا رسول الله أتعرفني قال: **نعم أنت الذي لقيتني بمكة»** [٢].

حوار هذا الصحابي الجليل عمرو بن عبسة مع رسول الله ^: يقرر عقيدة توحيد الله تعالى وكسر الأوثان التي كان يعبدها المشركون ويجعلونها آلهة مع الله تعالى، وكما بين النبي ^ في هذا الحديث أن الله أرسله بتوحيد الله وكسر الأوثان؛ فمن منهج النبي ^ في دعوته كسر الأوثان وطمسها وهدمها متى ما تمكن من ذلك. فما أن دخل مكة فاتحاً حتى بادر إلى ذلك، فدخل مكة وحول الكعبة ثلاثمائة وستون نصباً فجعل يطعنها بعود كان بيده ويقول: چگ گ گ گں ں ڻ ڻ ڈ چ[٣] چٻ ٻ ٻ ٻ ٻ ڀ ٻ چ[٤][٥].

وأخذ يبعث الصحابة لهدم الأصنام لاسيما تلك الأوثان الشهيرة، فهذا علي رضي الله عنه يقول لأبي الهياج الأسدي[٦] ألا أبعثك إلى ما بعثني عليه رسول الله ^: **«أن لا تدع تمثالاً، إلا طمسته ولا قبراً مشرفاً إلا سويته»** [٧].

قال جرير بن عبد الله[٨]، كان في الجاهلية بيت يقال له: ذو الخلصة وكان يقال له الكعبة اليمانية، أو الكعبة الشامية فقال لي رسول الله ^ **هل أنت مريحي من ذي الخلصة** قال: فنفرت إليه في خمسين ومئة فارس من أحمس قال: «فكسرنا وقتلنا من وجدنا عنده فأتيناه وأخبرناه فدعا لنا ولأحمس»[٩].

ولما بعث خالد بن الوليد إلى نخلة، وكانت بها العزى، فأتاها خالد، وكانت على ثلاث سمرات، فقطع السمرات وهدم البيت الذي كان عليها، ثم أتى النبي ^ فأخبره، فقال: **أرجع فإنك لم تصنع شيئاً**، فرجع خالد، فلما بصرت به السدنة وهم حجبتها، امعنوا في الجبل وهم يقولون : يا عزى، يا عزى، فأتاها خالد، فإذا امرأة عريانة، ناشرة شعرها، تحتضن التراب على رأسها. فعمَّها بالسيف حتى قتلها. ثم رجع إلى النبي ^ فأخبره، فقال: **تلك العزى.**

---

(١) هو الصحابي عمرو بن عبسة بن عامر السلمي، أسلم قديماً أول الإسلام، ثم قدم على النبي صلى الله عليه وسلم المدينة بعد غزوة الخندق ثم نزل بعد ذلك الشام انظر، أسد الغابة ٣٨٩/٣

(٢) رواه مسلم، ح١٩٦٧ (٢٠٨/٢)، وأحمد في المسند ح ١٧٠٦٠ (١١٢/٤).

(٣) سورة الإسراء، آية : ٨١.

(٤) سورة سبأ، آية : (٤٩).

(٥) رواه البخاري ج٢٤٧٨، (١٧٨/٣). ومسلم ح ٤٧٢٥. (١٧٣/٥).

(٦) هو حيان بن حصين، أبو الهيباج الأسدي، الكوفي، التابعي الثقة روى عن عمر علي وعمار رضي الله عنهم انظر: تهذيب الكمال للمزي ٤٧١/٧.

(٧) رواه مسلم، ح٢٢٨٧ (٦١/٣).

(٨) هو الصحابي عبد الله بن جرير الجلي، كان حسن الصورة رضي الله عنه وقد أرسله صلى الله عليه وسلم يهدم ذا الخلصة توفي سنة إحدى وخمسين، أسد الغابة، ٣١٩/١.

(٩) رواه البخاري، ح٣٨٢٣ (٤٩/٥)، ومسلم ح ٦٥٢٠ (١٥٧/٧).

٧- الحوار في الحديث النبوي لتقرير بوار الشرك وفساده :

عن عبد الله بن مسعود[١] قال: سألت النبي ^ أي الذنب أعظم عند الله ؟ قال: «**أن تجعل لله نداً وهو خلقك**. قلت: إن ذلك لعظيم. قلت: ثم أي؟ قال: **وأن تقتل ولدك تخاف أن يطعم معك** قلت: ثم أي ؟ قال: **أن تزاني حليلة جارك**»[٢].

في هذا الحوار يقرر النبي المصطفى ^ لعبد الله بن مسعود رضي الله عنه بطلان الشرك. فإن الشرك مساواة غير الله بالله فيما هو من خصائص الله. وهذا يقوم على ا تخاذ الند والشريك. والندَّ هو المثل والشبيه ويقال له: التنديد وهو نظير الشيء الذي يعارضه في أموره، وقيل ندَّ الشيء من يشاركه في جوهره وهو ضرب المثل لكن المثل يقال في أي مشاركة كانت[٣].

فالمشرك مشبِّه للمخلوق بالخالق في خصائص الإلهية. وإذا جعل العبد لله ندِّاً فقد ارتكب أعظم أنواع الشرك.

وقد بين النبي ^ في هذا الحوار بوار الشرك[٤] وفساده بدليل عقلي لا يمكن رده وإنكاره وذلك بقوله ^: «**أن تجعل لله نداً وهو خلقك**». أي أن الذي خلق هو وحده الذي يستحق توحيد الألوهية كما قال تعالى : (ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ) [٥].

(١) هو عبد الله بن مسعود رضي الله عنه من كبار فقهاء الصحابة من السابقين في الإسلام، هاجر الهجرتين، ت سنة ثلاث وثلاثين في المدينة، فقال: أبو الدرداء ما ترك بعده مثله.

(٢) رواه البخاري، ح٤٤٧٧ (٢٢/٦) ومسلم، ح ٢٦٧ (٦٣/١).

(٣) ابن القيم، الجواب الكافي، دار المعرفة، الطبعة ١، ١٤١٨هـ، ص١١٢.

(٤) فتح الباري (٤٩١/١٣) وإغاثة اللهفان لابن القيم (٢٢٩/٢).

(٥) سورة البقرة، آية : (٢١، ٢٢).

المبحث الثالث
الحوار في الحديث النبوي لتقرير توحيد الأسماء والصفات.

في هذا المبحث سنتناول عدداً من الأحاديث النبوية التي تقرر صفة من صفات الباري جلا وعلا عن طريق الحوار وهي كما يلي :-

أولاً: الحوار في الحديث النبوي لتقرير صفة العلو لله تعالى :

جاء في حديث معاوية بن الحكم السلمي[١] الطويل رضي الله عنه قال:... وكانت لي جارية ترعى غنماً لي قِبل أحد والجوانية[٢]، فأطلعت ذات يوم فإذا الذئب قد ذهب بشاة من غنمها وأنا رجل من بني آدم أسف كما يأسفون لكني صككتها صكة فأتيت رسول الله ^، فعظم ذلك علي قلت يا رسول الله: أفلا أعتقها قال : «**ائتني بها**. فأتيته بها فقال لها **: أين الله**». قالت في السماء قال: «**من أنا**». قالت أنت رسول الله. قال: «**أعتقها فإنها مؤمنة**»[٣].

في هذا الحديث الحواري إثبات صفة العلو لله تعالى، فسؤال النبي ^ للجارية بـ «**أين الله**» يدل على إثبات صفة علو الذات لله تعالى على خلقه، كما دل على ذلك الكتاب والسنة والعقل.

قال تعالى : (ٹ ٹ ٹ ڤ) [٤]. وقال سبحانه چ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭچ[٥]. وقال عز من قائل : (ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ) [٦] .

وقال سبحانه لعيسى عليه السلام : (ٹ ٹ ٹ ڤ) [٧] .

وفي حديث الإسراء والمعراج قال ^ : «**ثم عرج بي جبريل حتى أتى السماء ...**» [٨].

وقال ^ : «**الراحمون يرحمهم الله أرحموا أهل الأرض يرحمكم من في السماء**»[٩].

وقد دل العقل على علو الله على خلقه بذاته، فالله جلا وعلا لا يخلو إما أن يكون عالياً على العالم أو مسامتا له فوجب أن يوصف بالعلو دون المسامتة فضلا عن السفول[١٠].

فهذه الجارية إنما أجابت رسول الله ^ بما فطرت عليه من الإيمان بأن الله تعالى في السماء مستعلٍ على خلقه، ولذلك قال: ^ لمعاوية رضي الله عنه : «**اعتقها فإنها مؤمنة**».

وهذا الحديث احتج به عدد من العلماء[١١] على إثبات صفة العلو لله تعالى وذلك لصراحته في الدلالة على اتصاف الله تعالى بصفة علو الذات.

فيا للعجب كيف ينكر من انتسب للعلم هذه الصفة لله تعالى وتؤمن بها هذه الجارية، كل ذلك بسبب اللوازم الباطلة التي التزامها المعطلة ومن سلك سبيلهم في الاستدلال على مسائل أصول الدين.

ثانياً : الحوار في الحديث النبوي لتقرير صفة العلم لله تعالى :

---

(١) معاوية بن الحكم السلمي رضي الله عنه صحابي جليل سكن المدينة ،انظر أسد الغابة ١٥٢/٤.
(٢) الجوانية: من قرى المدينة. انظر: تاج العروس للزبيدي، دار الهداية، طبعة ١، (٣٨٨/٣٤).
(٣) رواه مسلم، ح (١٢٢٧) (٧٠/٢).
(٤) سورة البقرة آية : ٢٥٥.
(٥) سورة الشورى،آية : ٤
(٦) سورة المعراج، آية : (٤).
(٧) سورة آل عمران، آية : ٥٥
(٨) رواه البخاري، ح٣٣٤٢ (٦٥/٤). ومسلم، ح٤٢٩ (٩٩/١).
(٩) رواه أبو داود، ح٤٩٤٣ (٤٤٠/٤) . والترمذي، ح ١٩٢٤ (٣٢٣/٤) وأحمد في المسند، ح٦٤٩٤ (١٦٠/٢).
(١٠) انظر ابن تيمية ، درء تعارض النقل والنقل (٦/٧).
(١١) انظر كلام كل من : ابن تيمية، مجموع الفتاوى ٥٣/٣، ٦٢/٤، ١٤/٥. وابن القيم، إعلاء الموقعين ٣٢٦/٤ وإحياء الجيوش (٤٩/١). والذهبي، العلو للعلي الغفار، للذهبي، مكتبة أضواء السلف ، الرياض، ط١، ١٩٩٥، (ص١٥، ٢٨).

جاء في حديث عائشة رضي الله عنها الطويل الذي أخبرت فيه أنها خرجت تتبع النبي ^ في زيارته للبقيع فقال ^ : **«مالك يا عائش حشياً رابية ؟** قالت: قلت لا شيء. قال: **لتخبريني أو ليخبرني اللطيف الخبير**؟ قالت : قلت يا رسول الله بأبي أنت وأمي فأخبرته. قال: **فأنت السواد الذي رأيت أمامي**؟ قلت: نعم. فلهدني في صدري لهده أوجعتني. ثم قال: **أظننت أن يحيف الله عليك ورسوله**. قالت: مهما يكتم الناس يعلمه الله قال: **نعم**... الحديث»(١).

من فوائد هذا الحوار بين النبي ^ وعائشة رضي الله عنها تقرير إثبات صفة العلم لله تعالى، حيث قالت في هذه الحوار تسأل النبي ^ «مهما يكتم الناس يعلمه الله فأجابها ^ بقوله : **«نعم»** وإلى هذا ذهب شيخ الإسلام ابن تيمية أن عائشة كانت تسأل النبي ^ عن ذلك(٢). وجاء في بعض الروايات أنها إنما كانت تخبر بذلك لأن النبي ^ قال لها« **لتخبريني أو ليخبرني اللطيف الخبير**» فقالت« مها يكتم الناس فقد علمه الله»(٣).بدون قوله ^ **«نعم»** ولكن الأول أظهر، وقد تكون نعم من النبي ^ مؤكدة.

وفي كِلا الروايتين إثبات صفة العلم لله تعالى التي هي ثابتة له نقلاً وعقلاً، قال تعالى : (ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ) (٤) . وقال سبحانه : (□ □ □) (٥) . وقال جل من قائل: (ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ) (٦) .

أما السنة فإنها مليئة بالأحاديث المثبتة لصفة العلم، جاء في حديث الخضر وموسى قول الخضر : «والله ما علمي وما علمك في جنب علم الله إلا كما أخذ هذا الطائر بمنقاره من البحر»(٧).

وجاء في حديث الملاعنة قول النبي ^ : **«إن الله يعلم أن أحدكما كاذب فهل منكما تائب** ثم قامت فشهدت»(٨).

ولا يمكن للعقل إلا أن يذعن ويقطع بأن خالق هذا الخلق كله لابد أن يكون عليماً كما قال تعالى : (ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ) (٩) .

ثالثاً: الحوار في الحديث النبوي لتقرير أن الله أكبر من كل شئ :

عن عدي بن حاتم قال أتيت رسول الله ^ وهو جالس في المسجد فقال القوم هذا عدي بن حاتم .. ثم أخذ بيدي حتى أتى بي داره، فألقت له الوليدة وسادة فجلس عليها وجلست بين يديه فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: **ما يفرك أن نقول لا إله إلا الله، فهل تعلم من إله سوى الله ؟** قال قلت : لا. قال: ثم تكلم ساعة ثم قال: **إنما تفر أن نقول الله أكبر، وتعلم أن شيئاً أكبر من الله ؟** قال قلت: لا. قال: **فإن اليهود مغضوب عليهم وإن النصارى ضلال**، قال قلت: فإني جئت مسلما، قال فرأيت وجهه تبسط فرحا (١٠).

إن مسألة أن الله تعالى من أسمائه الكبير وهو أكبر من كل شيء مفطورة عليه نفوس العباد ومقهورة على الاعتراف بها فالنبي ^ قال لعدي: **«وتعلم أن شيئاً أكبر من الله؟»** فهذا التقرير الحواري من النبي ^ ليوقظ هذه المعرفة الفطرية في نفس عدي فتقوده إلى الإيمان بالله، أو تزيده إيمانًا وهدى، ولا ريب أن توحيد المعرفة و الإثبات يقود إلى توحيد العبادة.

---

(١) رواه مسلم ح (٢٣٠١) (٦٤/٣).
(٢) انظر، ابن تيمية، الفتاوى الكبرى (٥٣٥/٥).
(٣) رواه ابن حبان في صحيح، ح٧١١٠ (٤٦/١٦).
(٤) سورة يوسف ، آية : (٨٣).
(٥) سورة البقرة، آية : (١٣٧).
(٦) سورة البقرة، آية : (٣٣).
(٧) رواه البخاري، ح٤٧٢٦، (١١٤/٦). ومسلم، ح٦٣١٣ (١٠٣/٧).
(٨) رواه البخاري، ح٥٣٠٧ (٦٩/٧). ومسلم، ح٣٨٢٢ (٢٠٧,٤).
(٩) سورة الملك، آية : ١٤.
(١٠) رواه الترمذي، ح٢٩٥٣ (٢٠١/٥). وأحمد في المسند، ح١٩٤٠٠ (٣٧٨/٤).

الخاتمة

الحمد لله الذي تتم به الصالحات، نحمده تعالى على ما من به من إتمام هذا البحث، الذي أختمه بذكر أهم نتائجه، وهي:

١ـ أهمية التوحيد بأنواعه الثلاثة؛ توحيد ا لربوبية، وتوحيد الألوهية، وتوحيد الأسماء والصفات.

٢ـ أن النبي ^ نوع الأساليب لتقرير عقيدة التوحيد، وغرسها في نفوس أصحابه.

٣ـ أن من الأساليب المهمة التي تضمنها الحديث النبوي لتقرير عقيدة التوحيد: الحوار.

٤ـ أهمية الحوار في غرس مفاهيم جديدة، وتعزيز مفاهيم أخرى عند المتحاور معه.

٥ـ مراعاة النبي ^ للجوانب الثقافية والنفسية عند أصحابه رضي الله عنهم.

٦ـ تضمن الحديث النبوي آداب الحوار التي ينبغي للمتحاور أن يلتزم بها.

هذا وأسأل الله تعالى أن ينفع المسلمين بهذا البحث، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
- الاتجاهات الفكرية المعاصرة: **علي جريشة، دار الوفاء، المنصورة، الطبعة الثالثة، ١٤١١هـ.**
- أحاديث العقيدة التي يوهم ظاهرها التعارض في الصحيحين: **سليمان الدبيخي، دار البيان، الطائف، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.**
- أحكام أهل الذمة: **ابن قيم الجوزية، دار ابن حزم، الدمام، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ.**
- أساس التقديس: **الرازي، مؤسسة الكتب، بيروت ، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.**
- أسد الغابة في معرفة الصحابة: **ابن الأثير، تحقيق/ خليل مأمون، دار المؤيد، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.**
- أصول الإسماعيلية: **سليمان السلوبي، دار الفضيلة، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.**
- أضواء البيان: **محمد الأمين الشنقيطي، دار الفكر، بيروت، ١٤١٥هـ.**
- إعلام الموقعين عن رب العالمين: **ابن القيم، ت/ عبد الرؤوف سعيد، دار الجيل، بيروت، ١٩٧٣م.**
- التعامل مع الآخر: **إبراهيم المزيني، مركز الملك عبد العزيز للحوار الوطني، الرياض، الطبعة الرابعة، ١٤٣٠هـ.**
- الجامع: **محمد بن إسماعيل البخاري، دار الشعب، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ.**
- الجامع الصحيح: **مسلم بن الحجاج النيسابوري، دار الجيل، بيروت.**
- الجامع الصحيح: **محمد بن عيسى الترمذي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.**
- الحوار آدابه وضوابطه في ضوء الكتاب والسنة: **يحيى زمزمي، دار المعالي، الإصدار الثالثة، الدمام، ١٤٢٨هـ.**
- حوار الآباء مع الأبناء: **سهيل حماد، مركز الملك عبد العزيز للحوار الوطني، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٣١هـ.**
- الحوار الناجح في ضوء حوارات الأنبياء: **عيسى الدريبي، مركز الملك عبد العزيز للحوار الوطني، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٣١هـ.**
- الحوار الأسري أهميته، وطرق تفعيله:**اللقاء الأول للحوار الأسري والذي أقيم في تاريخ ١٤٢٩/٥/١٣هـ ٢٠٠٨/٥/١٨م، مركز الملك عبد العزيز للحوار الوطني، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٣٠هـ.**
- الحوار آدابه ومنطلقاته وتربية الأبناء عليه: **محمد شمس الدين خوجه، مركز الملك عبد العزيز للحوار الوطني، الرياض، الطبعة الخامسة، ١٤٣٠هـ.**
- درء تعارض العقل والنقل: **أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، دار الكنوز الأدبية، تحقيق/ محمد رشاد سالم، الرياض، ١٣٩١هـ.**
- دور الحوار التربوي في وقاية الشباب من الإرهاب الفكري: **هلال حسين غلميان، مركز الملك عبدالعزيز للحوار الوطني، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٣٠هـ.**
- سنن أبي داود: **أبو داود سليمان السجستاني، دار الكتاب العربي، بيروت.**
- السلسلة الصحيحة: **محمد ناصر الدين الألباني.**
- سنن ابن ماجه: **ابن ماجه محمد القزويني، مكتبة أبي المعاطي.**
- السنن الكبرى: **أحمد بن الحسين البيهقي، مجلس دائرة المعارف النظامية، الهند، الطبعة الأولى، ١٣٤٤هـ.**
- صحيح ابن حبان:**محمد بن حبان البستي، مؤسسة الرسالة.**
- ضوابط الحوار في الفكر الإسلامي: **مفرج القوس، مركز الملك عبد العزيز للحوار الوطني، الرياض، الطبعة الثالثة، ١٤٣٠هـ.**
- عون المعبود في شرح سنن أبي داود: **أبو الطيب العظيم أبادي، المكتبة السلفية، المدينة المنورة، الطبعة الثانية، ١٣٨٨هـ.**

- فتح الباري: **أحمد بن حجر العسقلاني، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ.**
- فتح الباري: **ابن رجب، دار بن الجوزي، الدمام، الطبعة الثانية، ١٤٢٢هـ.**
- القاموس المحيط:**الفيروزآبادي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الخامسة، ١٤١٦هـ.**
- قواعد التفسير: **خالد السبت، دار ابن عثمان، القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ.**
- القواعد الفقهية الخمس الكبرى: **إسماعيل علوان، دار ابن الجوزي، الدمام، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ.**
- كتاب الإيمان: **ابن مندة، تحقيق/ د. علي الفقيهي، دار الفضيلة، الرياض، الطبعة الرابعة، ١٤٢١هـ.**
- كتاب الشريعة: **الآجري، تحقيق/ د. عبد الله الدميجي، دار الوطن، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.**
- كتاب العرش: **الذهبي، تحقيق/ محمد العتيبي، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، الطبعة الثانية، ١٤٢٤هـ.**
- كتابة البحث العلمي: **د. عبد الوهاب أبو سليمان، دار الشروق، جدة، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ.**
- موطأ مالك: **الإمام مالك بن أنس، دار إحياء التراث، مصر.**
- المجتبى من السنن: **أحمد بن شعيب النسائي، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، الطبعة الثانية، ١٤٠٩هـ.**
- مسند الإمام أحمد: **أحمد بن حنبل الشيباني، مؤسسة قرطبة، القاهرة.**
- المستدرك على الصحيحين: **محمد بن عبد الله الحاكم، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ.**
- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج: **يحيى بن شرف النووي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٢هـ.**
- مجموع الفتاوى: **أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، دار الوفاء، الطبعة الثالثة، ١٤٢٦هـ.**
- منهاج السنة النبوية: **ابن تيمية، تحقيق/ محمد رشاد سالم، مؤسسة قرطبة، الطبعة الأولى.**
- مهارات التواصل مع الأولاد كيف تكسب ولدك؟: **خالد الحليبي، مركز الملك عبد العزيز للحوار الوطني، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٣١هـ.**
- النهاية في غريب الحديث والأثر: **ابن الأثير، إشراف/ علي الحلبي، دار ابن الجوزي، الدمام، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ.**
- نواقض الإيمان الاعتقادية وضوابط التكفير عند السلف: **د. محمد الوهيبي، دار المسلم، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٢٢هـ.**
- الوعد الأخروي: **د. عيسى السعدي، دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.**
- الوصية الكبرى: **أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، تحقيق/ محمد المحمود، مكتبة ابن الجوزي، الدمام، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ.**
- اليهودية عرض تاريخي: **د. عرفان عبد الحميد، دار عمار، عمان، ودار البيارق، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.**